الشعارات السياسية وأثرها في التحولات الجذرية للدولة الإسلامية عبر القرون الثلاثة الأولى للهجرة

(دراسة تاريخية في نشأة الرأي العام الإسلامي وتأثيره)[*]

د. أمل إبراهيم أبو سنة

قسم التاريخ الإسلامي

كلية الآداب – جامعة القاهرة

الملخص

كان التاريخ الإسلامي منذ بدايته شاهدًا على تعاظم الرأي العام الاسلامي ، والذي عرف آنذاك تحت مسمى " رأي الجماعة " و" رأي الأمة " و" رضا العامة "، متتبعا دوره الخطير فيما مرت به الدولة الإسلامية من أحداث ووقائع كان هو محركها الرئيسي والمحدد الأساسي لنتائجها، لذلك فلا يمكن تفسيرها إلا في ضوء فهم الرأي العام الإسلامي والذي كان يمثل قوة حقيقية ومؤثرة.

عبر الرأي العام الإسلامي عن نفسه بصور عديدة، كانت الشعارات السياسية أكثرها جلاءً وظهورًا، فقد ارتبطت الأحداث الكبرى في الدولة الإسلامية بعدد من الشعارات التي صيغت بعناية فائقة وعلى أسس مدروسة، بحيث استطاعت حشد الرأي العام تحت لوائها، مما مكنها من إحداث تغييرات جذرية في الدولة الإسلامية.

عنيت هذه الدراسة بتسليط الضوء على نشأة الرأي العام الإسلامي والمصادر التي استقى منها قوته وعمق تأثيره، كما عنيت بالرصد والتحليل للشعارات السياسية عبر القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وذلك من خلال دراسة أنواعها ومضامينها ودلالاتها، وأثرها وما كشفت عنه من حقائق ومكنونات عبرت بصدق عن روح العصر واتجاهات الناس آنذاك.

كما حرصت الدراسة على انتقاء نماذج من هذه الشعارات، تنوعت بين شعارات الحكام وشعارات المحكومين سواء كانت شعارات جماهيرية ثورية، أو شعبية سلمية، كما لم تغفل الدراسة عن نماذج من شعارات الأقليات الفكرية والدينية.

كلمات مفتاحية: الرأي العام الإسلامي – الشعارات السياسية – قميص عثمان – المصاحف على أسنة الرماح – شعارات المعارضة العباسية.

---

[*] **مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠٢٥، العدد السادس والستون.**

Political Slogans and Their Impact on the Fundamental Transformations of the Islamic State Throughout the First Three Centuries of the Hijre *(A Historical Study on the Emergence and Influence of Islamic Public Opinion)*

Abstract

From its inception, Islamic history has borne witness to the growing prominence of Islamic public opinion, known at the time by terms such as "the opinion of the community," "the will of the nation," and "the satisfaction of the masses." This collective sentiment played a pivotal and often decisive role in shaping the events and developments within the Islamic State. It acted as both the primary driver and the fundamental determinant of outcomes at critical historical moments. Therefore, these events can only be understood through the lens of Islamic public opinion, which represented a genuine and formidable force of influence.

Islamic public opinion expressed itself in various forms, with political slogans standing out as the most striking and prominent manifestation. These slogans were intricately crafted and strategically designed, often tied to major events in the Islamic state. They successfully mobilised public opinion under their banners, enabling them to bring about profound and transformative changes within the Islamic state.

This study also focuses on illuminating the origins of Islamic public opinion and the sources from which it derived its strength and profound influence. It also thoroughly examines and analyses political slogans during the first three centuries of Hijra, exploring their types, content, and symbolic meanings. Furthermore, it investigates their impact and the truths they revealed, offering an authentic reflection of the spirit of the era and the prevailing attitudes and inclinations of the people at that time.

The study meticulously selected examples of these slogans, encompassing a diverse range that included slogans of rulers and those of the governed. These examples varied between revolutionary mass slogans and peaceful popular expressions. Additionally, the study did not overlook examples of slogans originating from intellectual and religious minorities, ensuring a comprehensive exploration of their scope and significance.

Keywords

Islamic public opinion; Political slogans; The Shirt of Uthman; Qur'ans raised on spears; Abbasid opposition slogans.

المقدمة:

شهد العالم في الأونة الأخيرة تعاظم ظاهرة نمو الرأي العام، وعمق تأثيره على كافة المستويات المحلية والإقليمية والعالمية. بحيث أصبح وبحق محورًا أساسيًّا ومحركًا رئسيًّا لكثير من الأحداث التي يشهدها العالم على كافة الأصعدة: سياسيًا واقتصاديًا ومعيشيًا، الأمر الذي فرض نفسه على الباحثين في علوم شتى – سياسية وإعلامية واجتماعية – فوجهوا عنايتهم نحو دراسة هذا الموضوع من حيث ماهيته وتطوره وكيفية التأثير فيه، وآليات تشكيله وتوجيهه، حتى شاع مؤخرًا ما عرف بمصطلح: صناعة الرأي العام، وأخذ الغرب يتيه على الشرق – تصريحًا وتلميحًا – بما ادعاه من ريادة وسبق في هذا المضمار خاصة فيما يتعلق بفكرة اتساع الحريات، والمشاركة السياسية، وما أعقبهما من تطور الرأي العام وعمق تأثيره، وللأسف انساق كثير من الباحثين الشرقيين وراء هذه الدعاوى عاكفين على دراسة إنتاج الغرب ومستشهدين به، دون النظر في تراثهم الشرقي وتاريخهم الإسلامي.

من هذا المنطلق، كان لا بد للدراسات التاريخية أن تدلو بدلوها في هذا المضمار لتستجلى الحقائق، خاصة وأنه أصبح من المسلم به أن الفكر السياسي الإسلامي كان له الريادة عن الفكر السياسي الحديث في تقرير كثير من المبادئ وعلى رأسها سيادة الأمة، وحرية إرادتها واتساع صلاحيتها وسلطاتها، فكانت هي صاحبة الحق في اختيار الخلفاء ومراقبة أدائهم.

لقد كان التاريخ الإسلامي شاهدًا على تعاظم الرأي العام الإسلامي، ومتتبعًا دوره الخطير فيما مرت به الدولة الإسلامية من أحداث ووقائع، كان هو محركها و المحدد لنتائجها.

والجدير بالذكر في الصدد أن لفظ " الرأي العام " وإن لم يرد في المصادر التاريخية ولا في الأدبيات التراثية، فهو مصطلح حديث ظهر في أواخر القرن

الثامن عشر الميلادي. إلا أنه كان موجودًا بمفهومه ومعناه ودلالاته منذ بواكير التاريخ الإسلامي تحت مسميات إسلامية منها: "الإجماع" و"رأي الجماعة و"رأي الأمة" و"رضا العامة" وكلها كانت تؤدي نفس المعنى وهو الرأي العام، والذي كان يمثل آنذاك قوة حقيقية ومؤثرة في حياة الناس والدولة معًا.

والمؤكد أن المسلمين الأوائل – حكامًا ومحكومين – كانوا على وعي كامل وإدراك تام بقوته وعمق تأثيره فسعوا لاستغلاله واستقطابه وتشكيله، وكان الأبرع في هذه المهمة هو الأنجح في تحقيق أهدافه، وما الصراعات السياسية التي شهدتها الدولة الإسلامية في قسمها الأكبر سوى صراعات الحكام لكسب الرأي العام؛ الضمان المؤكد لنيل أهدافهم.

وعلى الرغم من ذلك، فقد غفل كثير من الباحثين المحدثين عن إدراك أثر هذه القوة في تفسير أحداث التاريخ وانساقوا وراء نظريات عدة، منها: " النظرية الاقتصادية"، و"نظرية المنفعة والمصلحة " و"نظرية الزعامات والنخب " باعتبارها المحركات لأحداث التاريخ، الأمر الذي عاقهم عن تقديم فهم واضح وواقعي لكثير من أحداثه، والتي كان لا يمكن فهمها أو تفسيرها إلا في ضوء فهم الرأي العام وأثره في توجهات الناس وتحركاتهم.

عبر الرأي العام الإسلامي عن نفسه بأشكال عديدة وصور متنوعة، إلا أن أكثرها جلاء وظهورًا في الدولة الإسلامية كانت هي "**الشعارات السياسية**" والتي كانت تمثل في الوقت ذاته آلية من آليات تشكيله وصياغته والتأثير فيه، وقد ارتبطت الأحداث الكبرى في الدولة الإسلامية بعدد من الشعارات التي صيغت بعناية فائقة، وعلى أسس مدروسة تمكنت من حشد الرأي العام تحت لوائها، مما مكنها من إحداث تغييرات جذرية في الدولة الإسلامية، وقد عنيت هذه الدراسة بالرصد والتحليل السياسي لهذه الشعارات وما تحمله من مضامين ودلالات ،وما قد تكشف عنه من حقائق ومكنونات عبرت وبصدق عن روح العصر، واتجاهات

الناس، كما رصدت النتائج المترتبة عليها، وقد حرصت الدراسة على انتقاء أهم وأشهر نماذج من هذه الشعارات سواء كانت شعارات الحكام أو شعارات المحكومين وكذلك شعارات الأقليات الدينية والفكرية.

أما عن الإطار الجغرافي للدراسة: نظرًا لأن موضوع الدراسة مرتبط بالدولة الإسلامية عبر القرون الثلاثة الأولى للهجرة، لذلك فقد شملت بلاد الحجاز وبلاد الشام وبلاد العراق.

أما عن منهج الدراسة: اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي والذي يعتمد على جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من المصادر المتنوعة والمعاصرة لفترة الدراسة، سواء كانت مصادر تاريخية أو أدبية أو فقهية، ثم صنفت هذه المعلومات مع النقد والتحليل لتنقيتها من شوائب الرؤى المسبقة لأصحابها ونزعاتهم المذهبية والسياسية، وذلك في محاولة لاستجلاء وجه الحقيقة التاريخية المجردة، ثم إعادة صياغتها في سياق البحث. ومع اهتمام الدراسة بتحليل المعلومات، فقد حرصت كذلك على استنباط النتائج، وأخيرًا عرضها عرضًا تاريخيًّا وافيًا.

الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة ما كتب حديثا عن الرأي العام –صناعة وقياسا– من منظور سياسي وإعلامي واجتماعي – إلا أنه وفي حدود علم الباحثة – لا توجد دراسات تاريخية تناولت موضوع نشأة الرأي العام الإسلامي من منظور تاريخي، وتتبع أثره في تطور الأحداث التاريخية في الدولة الإسلامية عبر القرون الثلاثة الأولى للهجرة باعتباره أهم المحركات الأساسية للأحداث الجسام التي شهدتها هذه الفترة.

أما بالنسبة للشعارات السياسية، فيوجد بحث بعنوان: الشعارات والأهازيج والرايات في غزوات النبي (ﷺ) وسراياه لطه عنان الحمداني، ومها سلمان،

منشور في مجلة كلية التربية للبنات بالفلوجة، العراق، العدد الخامس، السنة الثالثة، ٢٠١٦هـ. وقد رصد هذا البحث عددا من شعارات عصر النبوة، وقد حرصت دراستنا على أن تأتي برؤية جديدة تمامًا وإضافة تحليلات مختلفة لشعارات هذه المرحلة وما تلاها ، وباستثناء ذلك ، فقد خلت المكتبة التاريخية من أية دراسات تاريخية اختصت بالشعارات السياسية، وأنواعها وأنماطها ومضامينها ودلالاتها، وكيفية صياغتها، ودراسة مدى وعي الناس آنذاك حكاما ومحكومين بعمق تأثيراتها، وأخيرًا أثرها في إحداث التغيرات الجذرية في الدولة الإسلامية عبر قرونها الثلاثة الأولى للهجرة، الأمر الذي يجعل هذا الموضوع جديدا وجديرا بالدراسة والبحث .

جاءت هذه الدراسة على النحو التالي:

- المقدمة.
- تعريف الرأي العام الإسلامي ونشأته.
- تعريف الشعارات السياسية وأنواعها وأنماطها.
- نماذج من الشعارات السياسية في عصر النبوة ودلالاتها.
- نماذج من الشعارات السياسية في فترة الفتنة الكبرى وأثرها على الأمة الإسلامية.
- صراع الشعارات بين عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان (ﷺ).
- معاوية بن أبي سفيان وبناء رأي عام جديد.
- نماذج من شعارات المعارضة في العصر الأموي.
- نماذج من الشعارات السياسية في العصر العباسي.

أ) الشعارات الرسمية.

ب) الشعارات الجماهيرية الشعبية (ثورية وسلمية).

ج) شعارات الأقليات الدينية والفكرية (القرامطة نموذجًا).

أولاً: تعريف الرأي العام الإسلامي ونشأته:

على الرغم من اختلاف علماء السياسة والاجتماع حول تعريف الرأي العام تعريفًا محددًا(*)، إلا أنهم اتفقوا على أنه يعني موقف الناس تجاه القضايا والأحداث، واتجاهاتهم أو ميولهم نحو قضية ما، واتساقًا مع هذا المعنى، قيل ايضا أنه يعني التعبير العلني الصريح الذي يعكس وجهة نظر الجماعة تجاه قضايا وأحداث عصرها(١).

أما عن نشأة الرأي العام في الإسلام، فعلى الرغم من أن هذا المصطلح حديث، لم يرد في القرآن الكريم ولا في السُنَّة النبوية ولا في المصادر التاريخية أو الأدبيات التراثية، وقد ظهر لأول مرة أثناء الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر الميلادي، ثم راج تداوله في القرن التاسع عشر(٢). إلا أن هذا المصطلح بمعناه ومفهومه ومدلوله كان موجودًا وبقوة منذ بداية الدولة العربية الإسلامية سواء كان على مستوى الفكر السياسي أو على مستوى الممارسة السياسية، ولكنه كان مطروحًا تحت مسمى إسلامي وهو " الإجماع ". ذلك المبدأ الذي انطلق من تعاليم الشريعة الإسلامية، وارتضاه المسلمون أساسًا لنظم حكمهم وإدارة شؤون دولتهم منذ بواكير نشأتها، ورأوا فيه ضمانًا لبقائها ووحدة صفوفها.

أما عن كيفية تحقيق هذا الإجماع فقد حددته الشريعة الإسلامية عن طريق الشورى(٣)، التي كانت أمرًا إلاهيًّا ملزمًا لعموم المسلمين، فقال جل وعلا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾(٤)، وقال أيضًا ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾(٥)، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أكثر الناس طلبا للمشورة ، هكذا راعت الشريعة رأي الأغلبية، ووضعت في الاعتبار رأي الأمة على أساس أن الناس هم أعلم بشؤون دنياهم، فأوجبت مبدأ الشورى بهدف حسم الخلاف وتجنب النزاعات وخلق رأي عام واحد منسجم ومتناغم تجاه كافة أمور الحياة(٦).

وكما انطلق الرأي العام الإسلامي من تعاليم الشريعة الإسلامية، فقد كفلت

لـه أيضًا كافة الظروف والعوامل التي ساعدت على قوته والمزيد من فاعليته، فأباحت الحريات العامة وتوسعت في منح الحقوق الإنسانية كحق العقيدة واختيار الدين، وحقوق الفكر والرأي والتعبير، ومشروعية النقاش والجدل والحوار وصولاً لما فيه مصلحة الجماعة(٧).

وكان في مقدمة هذه الحقوق أيضًا حق المشاركة السياسية والمساهمة في تحمل مسؤوليات الحكم، فالأمة في الإسلام هي صاحبة السيادة ومصدر السلطات، وهي صاحبة الحق الأصيل في انتخاب الخلفاء ، وعبر معاوية بن أبي سفيان عن ذلك فقال: " إن هذا الأمر –أي الخلافة– لا يتم إلا برضا العامة " أي رضا عموم المسلمين(٨). وكان من أشهر ما شاع على ألسنة الناس في هذا الصدد قولهم: " يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم". ويؤكد هذه الفكرة ويرسخها ما أورده الطبري في حوادث سنة ٣٧هـ/٦٥٨م من خطاب أبي موسى الأشعري للأمة عارضًا عليها ما توصل إليه من نتائج عقب حادثة التحكيم، فقال: "أيها الناس انا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نر أصلح لأمرها، ولا ألم لشعثها من أن نخلع عليًّا ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولون من أحبوا عليهم، وإني قد خلعت عليًّا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً "(٩). والنص في غاية الأهمية لأنه يوضح بجلاء ما تمتعت به الأمة الإسلامية من حقوق سياسية وعلى رأسها حق اختيار الخلفاء ، وفقًا لإرادتهم الحرة واتفاقًا مع مصالحهم.

واتساقًا مع ما سبق، إن قام أهل الاختيار أو ما أطلق عليهم أهل الحل والعقد باختيار أحد الخلفاء، فإن هذا لا يعدوا إلا أن يكون مجرد ترشيح لا يصبح نافذًا إلا بما عرف بالبيعة، تلك البيعة التي حرص الخلفاء على تطبيقها حتى في ظل النظام الوراثي استكمالاً للمظهر الإسلامي.

كذلك كفلت الشريعة الإسلامية للجماهير أو للأمة حق توجيه سياسات

الدولة ومراقبة الحكام وذلك انطلاقًا من وجوب مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١٠)، وقد عبر عن ذلك بكل وضوح وجلاء الخليفة الأول أبو بكر الصديق عندما قال: "أيها الناس: إنما أنا مثلكم... فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم "(١١).

والخلاصة، فإن الرأي العام الإسلامي، والذي حمل آنذاك مصطلح " الإجماع " أو " رأي الأمة "أو" رضا العامة"(١٢)، قد انطلق من تعاليم الشريعة الإسلامية قرآنًا وسُنَّة، ومستندًا إلى كثير من القيم والمثل السياسية ومنها سيادة الأمة وحرية إرادتها، وإنها مصدر السلطات وغيرها من الآليات والمبادئ التي ساعدت على انطلاقه وتعاظم قوة تأثيره، الأمر الذي جعله وبحق قوة حقيقية ومحركًا لكثير من الأحداث والتحولات الجذرية في الدولة الإسلامية، لذلك فلا غرو أن رأينا حرص النخب السياسية على استقطابه واستمالته وترويضه وتشكيله وصولاً بهم إلى أهدافهم وإضفاء للشرعية عليهم، وما الصراعات السياسية التي شهدتها الدولة الإسلامية في فترة الدراسة في قسمها الأكبر سوى صراع الحكام لكسب الرأي العام وتسخيره لما يحقق مصالحهم(١٣).

ونظرًا لاتساع موضوع الرأي العام الإسلامي وتشعب مباحثه، وتحريًا للدقة، والتماسا للعمق والتركيز، فقد اقتصرت هذه الدراسة على جانب واحد فقط وهو الشعارات السياسية في الدولة الإسلامية باعتبار أنها إحدى أهم الآليات التي ساهمت في التعبير عن الرأي العام وصياغته وتشكيله من خلال التأثير في أفكار الناس ومشاعرهم ووعيهم وتوجهاتهم، الأمر الذي أسفر عن كثير من التحولات الجذرية الهامة في تاريخ الدولة الإسلامية، خاصة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

ثانياً: تعريف الشعارات السياسية وأنواعها:

الشعارات لغويًا: مفردها شُعْار بضم الشين وسكون على العين، والجمع شعارات وأشعره وشعر، وهي ما ولي جسد الإنسان دون ما سواه من ثياب، وهي أيضًا تعني العبارات التي كان يتعارف بها القوم في الحرب والسفر والتي كانت تعرف بـ سر الليل ، وأشعر القوم أي جعلوا لأنفسهم شعارًا أو علامة(١٤).

أما في الاصطلاح، فهي تعني علامات أو عبارات أو كلمات أو رموزًا تتميز بها الدول والجماعات وتدل عليها(١٥). أما في علم السياسية وعالمها، فالشعارات كانت تمثل أحد أشكال الخطاب السياسي، وبالتالي فهي تعد من أهم وأبرز سمات الحياة السياسية في الدولة الإسلامية عبر تاريخها، حيث وظفت للتعبير عن الرأي العام للأمة، والتصريح العلني عن ميولها واتجاهاتها ومواقفها إزاء القضايا التي تهمها والمستجدات ذات الصلة بحياتها، بل والتأثير أيضًا في أفكارها وتوجهاتها.

ارتبطت الشعارات أكثر بالصراعات السياسية والانتفاضات الجماهيرية والحركات الفكرية والدينية ذات البُعد السياسي، والتي كلما اشتدت حدتها وزادت خطورتها، كلما أبدع الخصوم في سك وإنتاج وصياغة شعارات مدروسة بحيث تكون غاية في القوة وعمق التأثير استقطابًا للرأي العام وجذبًا للجماهير الشعبية(١٦)، الأمر الذي كان يحدد النتائج ويحسمها.

ومن هذا المنطلق، فقد تميزت الأحداث الكبرى ذات التأثير الجذري في الدولة الإسلامية خلال فترة الدراسة بشعاراتها المميزة لها ، والتي انبثقت منها لتعبر عن فكرها وتوجهاتها وأهدافها ومضمونها، وفي الوقت ذاته كان متخذوها يراعون ويضعون في حسبانهم طبيعة الجماهير المتلقية لهذه الشعارات من حيث مكونهم الديني والثقافي ، ومدى وعيهم السياسي وسماتهم النفسية وظروفهم الحياتية والمعيشية، فتصاغ كل هذه المعاني والاعتبارات في شعار قد يكون كلمة

واحدة، أو جملة مختصرة غاية الاختصار، أو حتى مجرد رمز ليعبر عن الأحداث والناس بأقصى درجات الفاعلية والوضوح، الأمر الذي كان يسمح بسهولة فهمه وحفظه وتكرار ترديده وعمق تأثيره في النفوس.

وعلى الرغم من أن هذه الشعارات كان لكل منها زمانها وظروفها وأبطالها وبيئتها التي نبعت منها، إلا أن بعضها حقق نجاحًا منقطع النظير في تحقيق الأهداف المنوطة به، لذلك أصبح نموذجًا يحتذى به وتكرر استخدامه بشكل أو بآخر عبر العصور حتى تاريخنا المعاصر، حيث استلهمت بعض الدول شعاراتها من هذه الحقبة ويأتي في مقدمتها شعار "المصحف والسيف" على نحو ما سيفصله البحث(١٧).

تنوعت الشعارات تنوعًا كبيرًا، ففضلاً عن الشعارات الرسمية التي أطلقتها النخب الحاكمة لاستقطاب الجماهير وحشدهم وتحريضهم ضد خصومهم، كان في مقابلها شعارات جماهيرية أطلقها الثائرون في انتفاضاتهم ضد الأنظمة الحاكمة، فكانت وبحق سيوف العوام في مواجهة قهر النظام، الأمر الذي أكسبها أهمية وخطرًا لما كانت تمثله من تهديد حقيقي للدولة وللمجتمع معًا. وأيضًا كانت هناك شعارت الأقليات من الجماعات ذات التوجهات الفكرية والدينية والتي كانت لا تخلو غالبًا من أبعاد ومضامين سياسية.

الملاحظ أن هذه الشعارات على اختلاف منابتها وتوجهاتها وأهدافها إلا أنها استُقيت من معين واحد وهو الدين، فقد يكون الشعار آية من كتاب الله أو مبدأ من مبادئه أو قيمة من تعاليمه، الأمر الذي كان يضمن نجاحه وعمق تأثيره، ولا غرو في ذلك فهذه العصور كان يطلق عليها عصور الدين، حيث كان المكون الديني هو الأشد والأعمق أثرًا في حياة الناس(١٨). ولهذا كانت غلبة الطابع الديني على الشعارات على الرغم من مضامينها وأهدافها السياسية والدنيوية. ولعل هذا ما دفع الطبري إلى القول بإن: " الدين والمُلك مقترنان لا يستقيم

أحدهما إلا بالآخر "[١٩] في إشارة منه إلى تفشي ظاهرة اتخاذ الدين مطية لنيل الدنيا، واستغلاله في خدمة الساسة والسياسية.

كان للشعارات السياسية أبطالها الذين برعوا في صياغتها، وتجلت فيها براعتهم السياسية وقدرتهم على التأثير في الرأي العام من خلالها، فكانت وسيلتهم للوصول إلى أهدافهم، وكان على رأسهم معاوية بن أبي سفيان الذي أنهى الخلافة الراشدة وأقام الدولة الأموية، وكذلك محمد بن علي العباسي الذي نجح هو الآخر بشعاراته في إسقاط الدولة الأموية وتحول العالم إلى عصر جديد هو العصر العباسي، وغيرهما آخرون لم يغفل البحث عنهم.

تنوعت الشعارات السياسية تنوعًا كبيرًا، وانقسمت إلى عدة أنماط على النحو التالي:

أولاً: الشعارات النصية:

الشعارات النصية هي عبارة عن كلمة أو عبارة مختصرة، وقد تكون آية قرآنية أو بعضًا منها، بحيث تعبر عن هدف ومضمون الحركة بشكل واضح وصريح ومباشر ومفهوم للمتلقي، فيسهل تكراره وحفظه وترديده مما يساعد على عمق تأثيره، وقد حفظ التاريخ الإسلامي نماذج عديدة من هذه الشعارات سُيلقي البحث الضوء عليها في مواضعها.

ثانيًا: الشعارات اللونية:

غلبت الألوان على الشعارات الرسمية للدولة الإسلامية، إذ حرصت الدول المتعاقبة والجماعات المختلفة على اتخاذ لون معين ليكون رمزًا لها، صبغت به ألوياتها ورياتها وأعلامها، بل والملابس الرسمية لأتباعها ورعيتها. وكان لكل لون مفهومه ومدلوله ورمزيته بل وأثاره النفسية والعاطفية عند متخذيه ومتلقيه، وكان على رأس هذه الألوان اللون الأبيض والأسود والأخضر واللون الأحمر على نحو ما سيرد في البحث تفصيلاً[٢٠].

ثالثًا: الشعارات الرمزية:

كانت الشعارات الرمزية من أخطر الشعارات السياسية وأعمقها أثرًا على الإطلاق لقدرتها على سرعة إثارة المشاعر والعواطف، وقد شهدت الدولة الإسلامية نماذج عديدة من هذه الشعارات، إذ لم يتورع الخصوم عند احتدام المعارك وتفاقم الصراعات عن اتخاذ كل ما هو مقدس ليكون رمزا لحركاتهم كسبًا للرأي العام، فاستخدمت المصاحف والسيوف والرماح، واستخدمت ملابس القتلى في دعاوى المطالبة بالثأر، ولم يتورعوا حتى عن استخدام الشخوص الحية كرموز دينية استغلالاً لمكانتها وقدسيتها، كما شاع أيضًا استخدام الأعضاء البشرية كالأيدي المقطوعة والأكف المبتورة والرؤوس والجماجم المرفوعة على أسنة الرماح، كل هذا بهدف التأثير في الرأي العام واستغلاله لتحقيق الأهداف على نحو ما سيفصله البحث في صفحاته التالية.

رابعًا: الشعارات العقلية والمنطقية:

كانت الشعارات العقلية أقل الشعارات تأثيرًا؛ ذلك لأنها كانت تعتمد على إثارة العقل، وشحذ الفكر واستخدام المنطق والجدل والإقناع، الأمر الذي كان يستلزم المزيد من الوقت للنقاش والحوار مع ما ينتج عن ذلك من اتساع الفجوة بين وجهات النظر المختلفة، وتفاقم حدة الخلاف، وكان عليٌّ بن أبي طالب (ﷺ) من أكثر الساسة اتباعًا لهذا المنطق، وساعده على ذلك فيض علمه وقوة منطقه وبلاغته، فضلاً عما عُرِف عنه من تحري الصدق حتى لو كان فيه ضرره، فاعتمد على العقل والمنطق في مخاطبة أتباعه أكثر من إثارة عواطفهم، معرضًا نفسه للجاجهم وطول مجادلتهم إلى حد الخروج عليه ومحاربته وتكفيره، الأمر الذي دفع أقرب الناس إليه إلى القول بإنه "رجل يعرف من الحرب شجاعتها، ولكنه لا يعرف خدعتها "[٢١]. وذلك على نحو ما سنعرضه في هذا البحث.

وكما تنوعت الشعارات في أنماطها، فقد تنوعت كذلك في مضامينها، فقد ظهرت شعارات ذات مضامين اجتماعية ومعيشية وأخرى ذات أبعاد سياسية، أما من ناحية البناء، فكانت هناك شعارات ركزت على الأفكار المراد توصيلها للناس وإقناعهم بها، وأخرى ركزت على الأشخاص ذات التأثير في حياة الناس، وأخيرًا تباينت الشعارات أيضًا من حيث وظيفتها والأهداف المرجوة منها، فمنها ما استهدفت الحشد والاستقطاب، ومنها ما استهدفت التحريض وإثارة الغضب على نحو ما سيفصله البحث.

نماذج من الشعارات السياسية في عهد النبوة :

كانت الشعارات على عهد النبي ﷺ نوعين، هما: الألوية والشعارات النصية، أما بالنسبة للألوية، فقد كان اللواء معروفًا عند العرب قبل الإسلام، وقد ظهر بصورة جلية منذ عهد قصي بن كلاب الذي حمل على عاتقه مهمة عمران مكة وتحضرها، فاستحدث عدة وظائف هامة، كان منها وظيفة اللواء وهو المسئول عن حمل لواء قريش سواء في القوافل التجارية وفي الحروب والمعارك، كذلك كان لواء قريش يتصدر مشاهد عقد الأحلاف والاتفاقيات والمعاهدات وعند دفع الديات وغيرها من المناسبات القبلية(٢٢).

ونظرًا لأهمية هذه الوظيفة فقد اختص بها قصي نفسه وأولاده، فلما مات وتوزعت الوظائف بين أبنائه إثر نزاعهم عليها، انتقلت هذه الوظيفة إلى بني عبدالدار وظلت فيهم حتى ظهور الإسلام(٢٣)، محافظين عليها ومناهضين كل من يفكر في انتزاعها منهم، ولا غرو في ذلك فقد كانت مستمدة أصلاً من قيمة اللواء نفسه عند العرب، إذ كان يمثل شرف القبيلة وعزتها وقوة عصبيتها ومكانتها بين القبائل، تراق الدماء على جوانبه وتهون الحياة في سبيل رفعته، وفي ذلك يقول عثمان بن أبي طلحة، وكان يحمل لواء قريش.

إن على أهل اللواء حقًا أن يخضبوا الصعدة أو تندقا(٢٤)

أما في أوقات الحروب فكانت قيمته أعظم، فبه يتعارفون، وحوله تتجمع كلمة القبيلة وتتوحد عصبياتهم، وتثار حماستهم فلا ينفضون من حوله إلا بالنصر أو الموت. ولذلك كان حملة اللواء دائمًا في مقدمة أهداف العدو، وفي مرمى سهامهم، فإذا سقط اللواء انتهت المعركة بالهزيمة والعار والفناء، هذه المعاني كلها اختصرها زعيم قريش أبو سفيان فقال: " إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا "[٢٥].

لم يختلف الأمر كثيرًا عند المسلمين، فقد اتخذ النبي ﷺ له لواء أبيض اللون، وكان لا يحمله إلا شباب المسلمين من أهل القوة والبأس، فإن استُشهد انتقل إلى غيره[٢٦]؛ كذلك كانت له أيضًا راية سوداء تسمى العقاب[٢٧].

وفضلاً عنهما، حرص النبي ﷺ علي تكثير الرايات وإطالتها فجعل لكل قبيلة راياتها يتعارفون بها، فللأنصار راياتهم. وللمهاجرين راياتهم، يقول ابن هشام: "وعرض الجيش على أبي سفيان، ومرت القبائل على راياتها"[٢٨] في مشهد كان المقصود منه إظهار عظمة الإسلام وعزته، وانتشاره بين القبائل، وإبراز قوة المسلمين وكثرة أعدادهم وصعود نجمهم، وما قد يسفر ذلك عن بث مشاعر اليأس والاندحار في نفوس أعدائهم[٢٩]. وقد عبر أبو سفيان عن هذه المعاني كلها للعباس عم النبي ﷺ وكان حاضرًا معه هذا المشهد فقال: " ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا، فقال العباس يا أبا سفيان إنها النبوة"[٣٠].

وفضلاً عن الرايات والألوية، اتخذ النبي ﷺ شعارات نصية عديدة اختلفت حسب الأهداف والظروف التي ظهرت فيها، فكان من أشهرها:

أولاً: أحدُ أحد[٣١]:

هذا الشعار كان يعد من أوائل الشعارات التي نادى بها النبي (عليه الصلاة والسلام ﷺ) في يوم بدر، وهو شعار كان في غاية التوفيق من الله لرسوله وللمسلمين، ذلك بأن الله أرسل نبيه بدين جديد وكلفه بتبليغه للعالمين، وفي

مقدمتهم قومه وعشيرته الأقربين، ولكنهم أصموا آذانهم عن سماع أي شيء عن هذا الدين الجديد، وفرضوا حظرًا على شبابهم وفتيانهم حتى لا يصل إلى مسامعهم حقيقة هذا الدين، وشنوا على النبيﷺ حروبًا دعائية مضللة وكاذبة، لذلك كان من توفيق النبي (ﷺ) أن يستغل فرصة أول لقاء مباشر بينه وبينهم، فيجهر بهذا الشعار "أحدُ، أحد " لفظة واحدة وتأكيدها، وبهذه الصيحة البليغة الموجزة غاية الإيجاز، استطاع النبي ﷺ أن يُعلن للعالمين حقيقة هذا الدين، وجوهر العقيدة وهي الوحدانية، فكان شعارًا إعلاميًا قصد منه الإعلام والإخبار والتعريف والتبليغ، ومن ناحية أخرى أراد النبي (ﷺ) أن يستدعي إلى ذاكرة القوم خاصة الحكماء وأهل العدل منهم ما توارثوه عن أجيال سابقة من ذكريات عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام يوم أن سجدت الجزيرة العربية كلها لرب العالمين الواحد الأحد، إذن فهو ليس كما ادَّعوا عليه بمبتدع دين جديد، وإنما كان (ﷺ) متبعًا ومستكملاً لما جاء به الأولون، خاصة وأنه كان هناك رجال في مكة من بقايا الأحناف يخفون حقيقة عقيدتهم عن القوم حتى لا يتعرضوا لإيذائهم[٣٢]، وينتظرون ظهور نبي آخر الزمان، فكان هذا الشعار إعلامًا لهم وجذبًا لدعوته.

ثانيًا: الله أكبر وبسم الله:

توارثت أمة الإسلام عبر الزمان هذين الشعارين عن النبي(ﷺ) للتعبير عن بشائر النصر إذا اشتد الخوف وعظم الخطب، أما أولهما فهو شعار رفعه النبي يوم غزوة الخندق، حين تحزبت أحزاب اليهود والمشركين ضد المسلمين، وعظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المسلمون كل ظن، ونجم (ظهر) النفاق من المنافقين فولوا الأدبار، ورجعوا إلى بيوتهم وتركوا ساحة القتال، وهكذا تكالب الأعداء من الخارج والداخل على النبي وصحبه، فلما بلغت القلوب الحناجر، رفع النبي عليه السلام صوته بـ " الله

أكبر، الله أكبر " صيحة النصر والبشرى بالفتح، فرفع المسلمون بها حناجرهم ليثبت الله بهذا الشعار فؤادهم، ويستعيدوا رباطة جاشهم، وقوة عزيمتهم، فكان النصر والفتح والتمكين لرسوله وللمسلمين(٣٣).

وظل التكبير هو شعار الجيوش الإسلامية التي حملت على عاتقها نشر الإسلام وفتوح البلدان والأمصار، وشاركه في الأهمية شعار " بسم الله " الشعار الأبرز في معارك المسلمين الكبرى ضد الفرس والروم(٣٤).

ثالثًا: يا منصور أمت أمت(٣٥):

من شعارات النبي ﷺ وأنصاره التي رُفعت في أكثر من غزوة، وأما عن معناه فله في اجتهادنا وجهان، أما أحدهما فقد يؤخذ على أنه فعل أمر عندئذ يكون المعنى أمت الباطل والمقصود محاربة الكفر والقضاء على الشرك والضلال؛ أما ثانيهما: فقد يؤخذ بمعنى الدعاء لنيل الشهادة في سبيل الله، وكلا المعنيين كانا يمثلان غاية المسلم ومقصده وهما إزهاق الكفر والباطل، أو نيل الشهادة. وكثيرًا ما عبر المسلمون عن ذلك بقولهم: " إنما هي إحدى الحسنيين، إما النصر وأما الشهادة ". ورفع المسلمون هذا الشعار يوم خيبر، ولعله كان ردًا على شعار الكفار الذي دأب أبو سفيان علي رفعه في الحروب قائلاً: " أعل هبل " أي الدعاء للصنم هبل بالعلو والنصر، فكان شعار المسلمين أمت أمت أي الدعاء على هبل وأمثاله بالإبادة والزوال.

وفضلاً عن هذه الشعارات العامة، كانت هناك شعارات خاصة للقبائل الإسلامية يتعارفون بها من ناحية، وتثير حماستهم وتشحذ عزائمهم من ناحية أخرى، ومن ذلك ما أورده ابن هشام في حوادث فتح مكة والطائف وغزوة حنين، فذكر أن المهاجرين كان شعارهم يا بني عبدالرحمن، وشعار الخزرج يا بني عبدالله، وشعار الأوس يا بني عبيدالله(٣٦).

هكذا كانت شعارات النبي وصحابته الأجلاء عليهم السلام شعارات نصية،

موجزة الألفاظ واضحة المعاني، سهلة التردد والتكرار، محددة الهدف، إعلامًا وجهرًا وحشدًا، وكل منها يمثل قيمة إيمانية في العقيدة الإسلامية.

رابعًا: عمائم الحرب والقتال :

من الشعارات التي راجت أيضًا زمن النبي العمائم، وهي من ألبسة العرب، وكانت تعرف أيضًا باسم العصائب مفردها عصابة، وكانت ترمز إلى السيادة، لذلك قيل: "العمائم تيجان العرب"، وكان منهم من يلقب بذي العمامة كناية عن المكانة وعظم المنزلة(٣٧). وفي أوقات الحروب كانت العمائم الحمراء ترمز للاستعداد للقتال والتضحية بالنفس لتحقيق النصر، ومن ذلك عمامة أبي دجانة صاحب رسول الله ، كان إذا أخرجها وعصب بها رأسه قالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت "وكانت حمراء اللون"(٣٨).

واقتداءً بذلك، فقد اتخذت العمائم شعارًا لكثير من أحياء عرب الشام ممن تعاهدوا على الأخذ بالثأر لمقتل عثمان ﷺ. يقول الطبري: بايع رجال من أهل الشام على الموت، فعقلوا أنفسهم بالعمائم ". وظلت العمائم الحمراء رمزًا للغضب والدم والثورة والإقبال على الموت وعنوانًا للقوة والتحدي، لذلك فقد اتخذها بعض الحكام شعارًا لهم تعبيرًا عن سياستهم، وإرهابًا لأعدائهم"(٣٩).

الشعارات السياسية في فترة الفتنة الكبرى:

مقدمة:

قدمت فترة الفتنة الكبرى وما تلاها من أحداث، حالة واضحة جلية لظهور رأي عام إسلامي متحرر، ومشاركة جماهيرية على أوسع نطاق وأعمق تأثيرًا، حيث وجهت الأمة بجميع عناصرها وبمختلف طوائفها، كل طاقاتها الإيمانية والعقلية والعاطفية إلى القضايا العامة، خاصة تلك التي تمس دينهم، وقوة دولتهم، هذين المحورين اللذين بفضلهما أصبح لهم كيانهم، وعليهما ارتفعت مكانتهم، ولأن الخلافة كانت تُعد حامية الدين وحارسة العقيدة وأساس الحكم ومناط القوة،

لذلك فقد وجهوا اهتمامهم نحوها ونحو المتصارعين حولها، وبلغت حرية التعبير عن المواقف والاتجاهات المختلفة ذروتها، وتحولت المساجد والجوامع والساحات والطرقات والأسواق وكل أماكن التجمعات إلى ساحات للنقاش والجدال والخطب وتبادل الرؤى ، حتى يمكن القول وبحق بأن الرأي العام للأمة كان يُعد هو المحرك الأساسي لأحداث هذه الفتنة وما تلاها، وكانت النخب الحاكمة وقادة الصراع أكثر إدراكًا ووعيًا لهذه الحقيقة، فوجهوا عنايتهم نحو اكتسابه من خلال الحشد والاستقطاب والتعبئة، وكان أبرعهم في هذه المهمة هو أضمنهم للوصول إلى هدفه.

كانت الشعارات السياسية هي أبرز مظاهر هذه الفتنة حيث اتخذها جميع الأطراف للتعبير عن أفكارهم وحشد الجماهير تحت لوائهم، والتحريض ضد أعدائهم والرد عليهم ودحض حجتهم، ومع عظم هذا الصراع وشموله وامتداده لمعظم بقاع الدولة الإسلامية شامًا وعراقًا وحجازًا ومصرًا، وبمشاركة أقطاب الدولة الإسلامية؛ شيوخها وفرسانها، وقادتها وقرائها وشبابها وعموم رعاياها وحتى خواص نسائها، وكذلك لعظم الأهداف سواء المعلنة منها وغير المعلنة، والتي كانت تتراوح بين تطبيق حدود الله والوصول للخلافة وكلاهما أمر عظيم، من هنا كانت الشعارات بكل أنواعها وأنماطها مرآة لهذا الصراع، وانعكاسًا لقوته وعظيم تأثيره، بعضها كان من البراعة والدهاء السياسي متفردًا فلم يتكرر، وبعضها أصبح قدوة ونموذجًا يحتذى به عبر التاريخ.

قبل أن نبدأ في سرد أحداث الفتنة كان لا بد أن نلقي الضوء على جانب مهم من جوانب عقلية ونفسية المشاركين فيها، ونبدأها بهذه الشهادة لأحدهم إذ يقول: "كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشًا، وأبينه ضلالة، وأعراه خلودًا، وأجوعه بطونًا، محكومين على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم، لا والله ما في بلادهم يومئذ شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش

شقيًّا، ومن مات ردى في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً يومئذ في حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظًّا، وأدق فيها شأنًا منهم، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام فورثهم به الكتاب وأحل لهم به الجهاد، ووسع لهم به من الرزق، وجعلهم به ملوكًا على رقاب الناس"(٤٠).

هكذا رأى الناس في الدولة الإسلامية الجديدة والتي قامت على أساس هذا الدين الجديد مناط عزهم وفخرهم، ومركز قوتهم وكيانهم، وسبب بقائهم ورغد عيشهم، ومع ما غرسه فيهم الإسلام من مبادئ وحريات كوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ما استطاعوا إليه سبيلا، فضلاً عن وجوب مشاركتهم السياسية من خلال اختيار الخلفاء والرقابة على أدائهم، كل ذلك دفعهم إلى تنامي إحساسهم بمسؤوليتهم عن الدين وتطبيق حدوده، وعن الدولة وحمايتها والتصدي لكل ما يعتريها من عوامل ضعف أو فساد، فضلاً عن إحساسهم بفاعليتهم وعمق تأثيرهم في سير الأحداث.

أحداث الفتنة وشعاراتها:

لما كان عهدا أبي بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب استمرارًا لعهد النبي (ﷺ) واقتداءً بسنته، فلم يدعا لأحد مجالاً للاعتراض عليهما أو الاحتجاج على سياستهما ونعمت البلاد والعباد في عهدهما بالهدوء والاطمئنان.

فلما كان عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، شهدت الدولة الإسلامية تطورات جذرية، فقد اتسعت حدودها عقب الفتوحات الإسلامية، وضمت أصقاعًا وبلدانًا شتى شملت الحجاز والعراق والشام وفارس ومصر، وخضع لسلطانها شعوب وأمم شتى بثقافات وحضارات ولغات وتكوينات عقلية ونفسيه مختلفة، وكان لكل منهم فهمه الخاص لقيم الإسلام ومثله والتي على أساسها دخل في هذا الدين، كما كان لكل منهم عصبيته ومصالحه ورؤيته في الحياة التي كان يريد أن يحياها في ظل هذا الدين الجديد والدولة الجديدة.

صاحب ذلك تدفق الأموال الطائلة على خزائن الدولة الإسلامية[٤١]. فانحسر أمامها تيار الزهد والتقشف لتعلو قيمة المال والسعي للثراء، وكان لا بد للخليفة عثمان بن عفان أن يواكب هذه التطورات مجتهدًا ما وسعه الاجتهاد، تحكمه في ذلك قدرته السياسية، وسماته الشخصية والتي كان يغلب عليها طابع الكرم واللين، فضلاً عن عمره وشيخوخته إذ ناهز الثمانين عامًا[٤٢]. الأمر الذي أوقعه في سياسات أغضبت رعيته، خاصة اعتماده على بني قومه من الأمويين في إدارة شؤون البلاد والعباد، فساءت سيرتهم وفسدت إدارتهم، كما أغدق بالأموال على قومه من قبيلة قريش وسمح لبعض كبار الصحابة بالخروج من المدينة إلى الأمصار الإسلامية – وكان محظورًا عليهم ذلك في عهد الفاروق – فنهلوا من خيرات البلاد المفتوحة، وكونوا ثروات أثارت استفزاز عامة المسلمين[٤٣]. الذين اصطدموا بتناقض هذه السياسات عن مفهومهم عن العدالة والمساواة[٤٤] وغيرهما من القيم والمثل التي توسموها في الدولة الجديدة.

أما غالبية كبار الصحابة وشبابهم، فقد كان وقع هذه السياسات عليهم أعمق وأشد أثرًا، إذ بدأوا يستشعرون الخوف على الدين والدولة، وكانت مقولة: "بُليت سنته قبل أن يُبلى ثوبه" عليه السلام تلك التي شاعت على الألسنة آنذاك مثيرًا لخوفهم ومحفزًا لحماستهم الدينية وتعصبهم الشديد[٤٥]. وهذه ظاهرة طبيعية تظهر إثر كل عقيدة قوية وجديدة، خاصة وأن هؤلاء الصحابة الأجلاء كانوا يمثلون الجيل الأول الذين شهدوا الدعوة الإسلامية منذ بدايتها، وبايعوا الله على نصرة دينه ورسوله مجاهدين في ذلك بأنفسهم وأرواحهم وأموالهم، وحيث كانت تعاليم الإسلام لا تزال راسخة في قلوبهم وعقولهم فكانوا حماة لها وحراسًا عليها، ومن التزامهم بمسؤولياتهم الدينية والسياسية نستطيع أن نفسر هذا التشدد في عصبيتهم وثورتهم على إدارة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، إذ رأوا فيها خروجًا على الحق وتوهينًا للدولة وإضعافًا لشأنها.

والحقيقة أن حادثة استشهاد الخليفة عثمان بن عفان لم تكن مفاجئة فقد سبقتها قدوم وفود من البلاد المفتوحة إليه يعرضون عليه مطالبهم وأسباب احتجاجاتهم، وقد لعب عليٌّ بن أبي طالب ﷺ دورًا كبيرًا في الوساطة ومحاولة التوفيق بينهما، وكانت تنتهي غالبًا بتعهد الخليفة بالاستجابة لما يستطيع من مطالبهم.

ومع تباطؤ الخليفة في الاستجابة، خاصة مع تشدد قبضة عماله، تفاقمت مشاعر الغضب والسخط وارتفع سقف المطالب، فبدأت بما أورده الطبري على لسانهم: " اعزل عنا عمالك الفساق واستعمل علينا من لا يُتهم على دمائنا وأموالنا واردد علينا مظالمنا ". فرأى عثمان (ﷺ) في ذلك تدخلاً في اختصاصاته وتعديًا على سلطاته، فقال معترضًا: " ما أراني أذن في شيء إن كنت استعمل من هويتهم وأعزل من كرهتم، الأمر إذن أمركم ".

هنا خيره الثوار بين أمور ثلاثة، فقالوا: "والله لتفعلن أو لتُعزلن أو لتقتلن، فانظر لنفسك" وبرروا مطالبتهم بعزله، فقالوا: " لقد استحققت أن تُخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك "[٤٦]. فكان ذلك أول خلع صريح في الإسلام، في صورة يتجلى فيها مدى ما تمتع به الرأي العام الإسلامي من حرية كاملة وقوة في مواجهة السلطة، ووعي سياسي بكافة حقوقه في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية.

إزاء هذا الموقف، ظهر تيار آخر معارض يقوده عبدالله بن عمر بن الخطاب رافضًا هذا السلوك الذي كان يمثل تهديدًا للدولة وفرض إرادتهم عليها بالقوة، الأمر الذي كان من شأنه أن يؤدي إلى إضعافها وتوهين مكانتها، فقال موضحًا رأيه وناصحًا للخليفة: " لا تخلع قميص الله عنك فتكون سُنَّة كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه"[٤٧]. وتبنى الخليفة عثمان هذا الرأي مقدمًا مصلحة الأمة على أمنه وسلامته، فكان رده عليهم قاطعًا، إذ قال: "والله لئن أقدم

فتضرب عنقي أحب إليَّ من أن أخلع قميصًا قمصنيه الله، وخصني به دون خلقه، وأترك أمة محمد (ﷺ) يعدو بعضها على بعض"[٤٨]. ولعله من الملاحظ والجدير بالذكر في هذا المقام تكرار الحديث عن " قميص الله " أو " قميص عثمان " والذي سيصبح عما قريب شعارًا ورمزًا للسلطان، ومعنى من معاني التفويض الإلهي للخلفاء.

انتهت المفاوضات إلى طريق مسدود، خاصة مع قيادة المتشددين للأحداث، فكفروا عثمان وطالبوه بإعلان توبته وأرسلوا إليه منذرين: " إنا والله لله نغضب وفي الله نرضى، وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة"[٤٩]. ومع إعلان صيحة الغضب لله. وكان الرأي العام مستنفرًا وفي أشد حالات الغضب والسخط، بدأت أحداث الفتنة – شأنها في ذلك شأن الفتن في كل زمان ومكان – فانضم إليها كثير من غوغاء أهل الأمصار وأعراب البدو وعبيد أهل المدينة وغيرهم من مثيري الفتن وأصحاب المصالح والمطامع والأهواء، فخرجت الأمور عن السيطرة، وتفاقمت أعمال العنف التي بدأت بحصاره في بيته اثنين وعشرين يومًا، منعوه خلالها من الطعام والشراب وحالوا بينه وبين محاولات نجدته من قبل بعض نساء النبي وأهل بيته، وهذا ما لا يمكن أن يصدر من صحابة رسول الله بل يؤكد دور الغوغاء والأعراب والعبيد في هذه الفتنة.

ولنتجاوز الحديث عن كثير من المشاهد التي ذخرت بها كتب التاريخ، ولنتوقف عند مشهد واحد لما له من أثر بالغ في سير الأحداث فيما بعد، وهو مشهد استشهاده ﷺ وقطع يد زوجته، يقول الطبري في حوادث سنة ٣٥هـ/٦٥٥م: " دخلوا عليه فضربه أحدهم بحديدة فسال دمه على مصحفه الذي كان يقرأ فيه، ونضح على قميصه، وجاء آخر ليضربه بالسيف، فانكبت عليه زوجته نائلة بنت الفرافصة واتقت السيف بيدها، فقطعها وقطع أصابع يدها".

لقد كان الرأي العام في أشد حالات الهياج والغضب والثورة إلى الحد الذي خرج به عن حدود السيطرة والروية والتعقل، فلم يراعوا حرمة الدم ولا المكان، ولا الشهر الحرام، وأمام هذا الغضب الجامح، اضطر كثير من الصحابة إلى لزوم بيوتهم بعد أن أدركوا عدم قدرتهم على مواجهته، وكان على رأسهم طلحة والزبير، أما السيدة عائشة فكانت قد تجهزت للخروج إلى الحج وقالت: " أما والله لئن استطعت أن أمنعهم مما يحاولون فعله لأفعلن "(٥٠).

عقب مقتل الخليفة الشهيد، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الدولة الإسلامية، كان الصراع أبرز سماتها؛ الدين راياتها، والرأي العام محركها، وقد انعكست هذه الصراعات على شعاراتها فجاءت معبرة أصدق تعبير عن اتجاهات الرأي العام وعمق انقسامه، حتى أنهم لم يتورعوا عن استخدام الشخوص الحية والدم والأعضاء البشرية كشعارات سياسية لتحقيق مقاصدهم.

لم تكن حادثة استتشهاد الخليفة عثمان بن عفان رأيًا للصدع الذي شق الرأي العام الإسلامي، بل زادته شقاقًا وانقسامًا وهياجًا، وفي ظل هذه الظروف العصيبة تولى عليٌّ بن أبي طالب ﷺ الخلافة ليواجه ثورات وفتن اجتاحت العالم الإسلامي بأكمله، ووجد نفسه بين فرق ثلاث:

الفريق الأول: وكانوا ممن نقموا على عثمان بن عفان سياساته وتورطوا في حادثة استشهاده سواء بالمشاركة أو الموافقة، وكان من هؤلاء بعضٌ من كبار الصحابة وشبابهم ممن كانوا لا يُتهمون في قوة إيمانهم وصدق عقيدتهم وانتفاء أي شبهة منافع أو مصالح لهم سوى الغضب لله والخوف من الله والسعي لنيل رضا الله، وإحقاق الحق والعود بالإسلام إلى ما كان عليه أيام النبي وخليفتيه الأولين، الأمر الذي زادهم قوة وإيمانًا بسلامة موقفهم حتى أنهم أعلنوا في تحدٍّ واضح مسؤوليتهم عن حادثة القتل، (دخل عليّ بن أبي طالب يومًا المسجد، فوجدهم وقد اتخذوا أهبة الاستعداد، ولبسوا دروع الحرب، وحملوا سيوفهم، ورفعوا

أصواتهم بقول واحد: نحن جميعًا قتلة عثمان)، ومما زاد من حرج مركز عليٍّ بن أبي طالب ﷺ أن هؤلاء كانوا يمثلون غالبية جيشه وشيعته وأنصاره، أما من كان قد انضم إليهم من ثوار الأمصار وغوغاء القبائل، فهؤلاء فعلوا فعلتهم ثم عادوا إلى قبائلهم وعصبياتهم متفرقين في البلدان(٥١).

الفريق الثاني: وهم المعارضون لمقتل عثمان ﷺ والثائرون لمصابه، وكان على رأسهم طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام اللذين كانا من أوائل من انتفضا وشقا عصا الطاعة على عليٍّ بن أبي طالب ورفعا شعار:

القصاص القصاص، الثأر لمقتل عثمان(٥٢).

هذا الشعار بكل ما يعنيه من حتمية إقامة حدود الله، وتطبيق شريعته، فضلاً عما كان يمثله من استدعاء لمشاعر الغضب والرغبة العارمة في الانتقام، بما تضمنه من موروثات قديمة رسخت في عقل ووجدان العربي يوم أن كان الثأر يمثل شرفه وعزته وكرامة قبيلته، وكما صبغ الثأر صفحات كثيرة من تاريخ العرب قبل الإسلام بلون الدم، فقد كان هذا الشعار أيضًا الشرارة التي أشعلت النار في الدولة الإسلامية لقرون طويلة، وأكثرها دموية، كذلك كان من الشعارات الفضفاضة، ففي ظاهره إعزاز الإسلام وتمكين الدولة، أما في باطنه فقد كان من الاتساع بما يمكنه من احتواء الكثير من الأهداف والمطامع في الخلافة، لذلك فقد وجد فيه الثائران مبررًا شرعيًا للخروج على الخليفة، وستارًا يخفيان تحت بريقه ما لمح إليه بعض المؤرخين من تطلعاتهما في الخلافة(٥٣). فكان ذلك أول ثأر يطلب في الإسلام بثورة، وبهذه الصيحة المجلجلة والتي كانت تأبى عروبة العربي وإسلامه أن يصم آذانه لها، وتحت هذا الشعار المقدس واصلا تحريض الناس للانضمام إليهما واستقطابهم(٥٤). مبررين ذلك بالخوف من أن تكون هذه الحادثة سُنَّة، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه، الأمر الذي لا تستقيم معه دولة ولا يستقر له نظام(٥٥). وهكذا كان الكل يتحدث باسم الدين، وقد نصبوا

أنفسهم حماة له وحراسًا على الدولة ومكانتها وهيبتها.

أما الفريق الثالث: وهؤلاء كانوا يمثلون قوة كبيرة وثقلاً لا يستهان به، فالتزموا الحياد، وقالوا: " لا نكون معكم ولا عليكم "، هؤلاء كانوا يمثلون صوت العقل ، فجنبوا أنفسهم المشاركة في هذا الصراع وعدم التورط فيه، وقد عبر عليّ بن أبي طالب عن حالة الانقسام في الرأي العام، وما أصابه من تناقضات حادة، فقال: " إن الناس من هذا الأمر على أمور، فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك ".

أما عليَّ بن أبي طالب (ﷺ) وهو المشهود له بالفضل والسبق والجهاد والعلم والقربى، فقد كان لزامًا عليه أن يعمل على رأب الصدع ولم الشمل، وجمع ما تفرق من كلمة المسلمين ووحدتهم، فطالب الجميع بالالتزام بالهدوء والتروي بما يتيح له رد الحقوق، "يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدءوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا "[٥٦].

كان الرأي العام في حالة من الهياج والغضب والاستقطاب، فلم تجد معه دعوات التهدئة، وبادر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله الإعلان عن خروجهما إلى بلاد العراق لمحاربة عليِّ بن أبي طالب ، ولكنهما أدركا ومنذ الوهلة الأولى عدم تكافؤ قوتهما، ورجحان قوة عليِّ بن أبي طالب، حيث كان لا يزال يحظى بتأييد غالبية الرأي العام، الذي كان لا ينقم عليه شيئًا، ومن هنا كان لا بد لهما من الاستعانة بقوة أخرى لتحقق التوازن بين كفتيهما، قوة لها من المكانة ومن القدسية ما تستطيع أن يستنهض به عزائم المسلمين، وتستقطب آرائهم، وتحشد صفوفهم في مواجهة عليّ بن أبي طالب، فلم يكن هناك أقوى من السيدة عائشة (ﷺ) زوجة نبيهم، فاتخذوها شعارًا لهم ورمزًا لثورتهم.

السيدة عائشة (أم المؤمنين) شعارًا ورمزًا:

كانت السيدة عائشة في مكة تؤدي فريضة الحج ، فلما بلغها نبأ مقتل

عثمان بن عفان، عز عليها انتهاك الثوار لحدود الله، فكانت تندد بأفعالهم وتقول: " بادؤوا بالعدوان، وقتلوا إمام المسلمين، فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام"، وكانت ترى أن أمر الدولة الإسلامية لن يستقيم دون تأديب هذه الجماعات والأخذ بثأر عثمان منها " فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام"(٥٧).

التقت رؤيتها مع رؤية طلحة والزبير فدعوها للذهاب معهم إلى العراق والبصرة لتحريض الناس على القتال وتطبيق حدود الله، يقول الطبري في حوادث (سنة ٣٦هـ/٦٥٦م): " قالا لها: أشخصي معنا إلى البصرة فتنهضيهم كما أنهضت أهل مكة، فإن أهل البصرة لو قد رأوك لكانوا جميعًا يدًا واحدة معك "، ويؤكد المؤرخ على عمق دورها وعظيم تأثيرها في حشد الرأي العام تحت لوائها، فقال: " لما قالوا لها ذلك، ولم يكن ذلك مستقيمًا إلا بها، قالت: نعم وأجابت إلى الخروج والناس حولها يمينًا وشمالاً، ونادى المنادي من كان يريد إعزاز الإسلام فليلحق بأم المؤمنين "(٥٨).

بلغ الاستقطاب حده حتى وصل إلى نساء النبي ، فعزمت السيدة حفصة على الخروج مع السيدة عائشة ، فمنعها أخوها عبيد الله بن عمر من ذلك، أما أم سلمة فقد انضمت إلى عليّ بن أبي طالب، وأرسلت ابنها عمر ليخرج معه ويشهد مشاهده(٥٩)، والكل في ذلك لا يبغي إلا الإصلاح وإعزاز دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على تغييره ما استطاعوا إليه سبيلا.

هكذا أصبحت السيدة عائشة أم المؤمنين شعارًا لهذه الحركة ورمزًا لها، وبمكانتها وحرمتها ومنزلتها، فضلاً عن قوة شخصيتها، وصوتها الجهوري الرزين الذي كان يعلو فوق صوت ضجيج الجماهير استطاعت أن تحشد أعدادًا كبيرة من الأنصار تحت لوائها، حتى هؤلاء ممن حرصوا على أن ينأوا بأنفسهم عن هذه الحرب، لما رأوها سارعوا بالانضمام إليها، وقالوا: "نكره ألا نجيب أمنا"، و"إنا

على حق إذ تمسكنا بأهل بيت نبينا".

واصل الزبير وطلحة استغلال هذا الشعار المقدس، فنزلوا بها إلى ساحة القتال في هودج مدرع بالحديد على جمل، فألهبت حماس الناس واستنهضت عزائمهم انتصارًا لها وحماية لحياتها، فلما كثر القتل فيهم حتى كادوا أن يبادوا ، عُقر الجمل إيذانًا بانتهاء هذه المعركة[٦٠] التي اتخذت فيها السيدة عائشة رمزًا لها وشعارًا، حتى سُميت بمعركة الجمل كناية عنها وصيانة لاسمها.

أما عن تقييم هذا الشعار، فالواقع أن هذه الحادثة من الحوادث النادرة في التاريخ الإسلامي الذي استخدمت فيها الشخوص الحية كشعارات في الحروب والمعارك، استغلالاً لحرمتها ومكانتها بين المسلمين، فهي أم المؤمنين وزوجة نبيهم وحبيبة رسولهم، كما كانت تُحب أن تصف نفسها ﵂ أمام أنصارها، وعن رسول الله ﷺ روت أحاديثه، فأخذوا عنها تفاصيل دينهم، وعلى الرغم من قوة هذا الشعار وقدرته على الحشد والاستقطاب على نحو ما رأينا، إلا أنه كان يُعد أيضًا من أهم أسباب فشل هذه الحركة، والسبب في ذلك يرجع إلى نفس عوامل قوته، فلحرمتها ومنزلتها استاء كثير من شباب المسلمين نزولها إلى ساحة القتال معرضة حياتها للخطر، ومنزلتها للمساس من قبل السفهاء والغوغاء، لذلك فقد انهالوا باللائمة والنقد اللاذع على طلحة والزبير وابن أختها عبدالله بن الزبير الذين وضعوها في هذا الموقف، فانفضوا من حولهم، وقادوا حملات إعلامية للتشهير بفعلتهم، يقول الطبري: " خرج شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير، فقال لهما: أرى أمكما معكما فهل جئتما بنسائكما ؟ فقالا: لا. فقال: فما أنا منكما في شيء واعتزل، وقال منتقداً فعلتهما:

صنتم حلائلكم وقدمتم أمكم هذا لعمركم قلة الإنصاف "

وانتقد عليٌّ بن أبي طالب هذا التصرف من طلحة أيضًا فقال له: " يا طلحة جئت بعرس رسول الله (ﷺ) تقاتل بها، وخبأت عرسك في البيت ".

وهكذا انتشرت بين شباب المسلمين مشاعر الاستياء من خروج أمهم للقتال والدعوة إلى إعادتها مكرمة معززة إلى بيتها، وفي ذلك يقول الطبري: " أقبل جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك، وإن كنت أتيتينا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتينا مستكرهة فاستعيني بالناس"، فلما أكثر الرأي العام من انتقاد خروجها، أبدت ندمها وقالت قولتها الشهيرة: " والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ".

انتهت معركة الجمل(٣٦هـ/٦٥٦م) وأعاد عليٌ بن أبي طالب السيدة عائشة إلى مكة معززة مكرمة وانبرى يتعقب كل من أساء إليها وانتقد خروجها، وأما السيدة عائشة فأرادت أن تنهي هذه الصفحة، فأكدت أن خروجها إنما كان غضبة لله ولحدوده وبغية الإصلاح، وليس لعداء شخصي بينها وبين عليٍ بن أبي طالب أو لأي هوى دنيوي(٦١).

هكذا انتهت هذه الجولة من الصراع والانقسام في الرأي العام، فإذا ما تجاوزنا تفاصيلها الكثيرة التي وردت في المصادر التاريخية والكتب التراثية، ومشاهدها الدامية التي كثيرًا ما استغلها كل من في قلبه مرض لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في فجر تاريخهم الإسلامي، ونفذنا إلى قلب الحقيقة، لوجدنا أننا أمام حادثة نادرة تدل على مبلغ ما وصلت إليه الحرية في تكوين الرأي العام الإسلامي، والجرأة في إبدائه، فقد كان هو المحرك الرئيسي لكل الأحداث، كما أنها كانت تعبر أيضًا عن روح العصر، حيث كانت نفوس المسلمين لا تزال قوية صلبة أبية، لا تعرف للضعف طريقًا، ولم يتطرق إليها الخور والوهن، ألهبها الحماس الديني والتشدد في تطبيق مثل الإيمان وقيمه والرغبة في إحقاق الحق وتطبيق أحكام الشرع إرضاء لله، والإصلاح بين عباده، وهي ظاهرة طبيعية

تظهر إثر كل عقيدة قوية وجديدة.

كما يتجلى في هذه الحادثة مدى ما وصل إليه الرأي العام الإسلامي من نضج سياسي ووعي بواجبه ومسؤوليته نحو اختيار نظام سياسي مُرْضٍ له ومعبر عنه، ومن هنا كانت شمولية الحدث وشمولية المشاركة تأييدًا أو معارضة. أما ما شاب الصورة من أحداث عنف فهذا مرجعه إلى الطبيعة الأعرابية لكثير من المشاركين حيث فورة الأعصاب وسرعة الغضب وحيث اعتادوا أن يكون السيف هو الحاسم في شتى أمورهم خاصة إذا ما تعلق الأمر بدينهم ودولتهم(٦٢). كما لا نغفل أيضًا دور المصالح الذاتية والانتماءات العصبية لكثير ممن انخرط في هذه الأحداث من نُزاع الأمصار وغوغاء القبائل ومثيري الفتن.

وما إن انتهت هذه الجولة من الصراع والتي حملت راية " **الثأر لمقتل عثمان** " **وشعارها السيدة عائشة**"، حتى بدأت جولة جديدة كانت الأشد ضراوة والأعجب حيلة، ذلك أنه كان من أقطابها معاوية بن أبي سفيان أشهر دواهي العرب، وأبرع ساساتهم، وأحكم من أدرك قوة الرأي العام، فسعي لاستغلاله، بل وإعادة تشكيله، وصاغ شعارات نجحت في إحداث تحولات جذرية في الدولة الإسلامية على نحو ما سنرى.

شعارات معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) والرأي العام:

أما عن معاوية (ﷺ) فهو ابن أبي سفيان بن حرب أحد سادات قريش قبل الإسلام وبعده، بدأ ظهوره على مسرح الأحداث السياسية في عهد النبي كاتبًا له، فلما برزت مقدرته القتالية، وخبراته السياسية عهد إليه الفاروق عمر بن الخطاب بولاية بلاد الشام لمدة سبع سنوات فدان له أهلها بالولاء والطاعة(٦٣). لا سيما وأن بلاد الشام كانت أموية الهوى والتعصب منذ قبل الإسلام، ومنذ أن كانت منفى جده الأعلى أمية بن عبد شمس في صراعه مع هاشم بن عبد مناف

حول زعامة مكة، فحكم على أمية بالنفي إلى بلاد الشام، فتوطدت العلاقات بينهما، ثم جاءت القوافل التجارية القرشية بقيادة أبي سفيان بن حرب إلى بلاد الشام لتزيد من أواصر هذه العلاقات وتدعمها(٦٤).

ظل معاوية واليًا على بلاد الشام حتى مقتل الخليفة عمر بن الخطاب، فأقره عليها عثمان بن عفان طيلة خلافته ولمدة اثنا عشر عامًا، أثبت خلالها اقتدارًا ومهارة في إدارة الإقليم، وتأسيس السلطان الأموي فيه، واصطناع الأعوان المؤيدين له في حكمه سواء كانوا من أهله، أو من الوافدين عليه من كبار الصحابة وذوي الشأن والمكانة، وساعده على ذلك رخاء البلاد وثرائها وكرمه في الإغداق على الجميع، فطابت لهم الحياة في كنفه(٦٥).

ومن ناحية أخرى، أبدى معاوية بن أبي سفيان مهارة في سياسة أهل الشام وقدرة كبيرة على كسب طاعتهم والتأثير عليهم، معتمدًا في ذلك على دراسته لنفسيتهم، ومعرفته بمكنوناتهم واتجاهاتهم ونقاط القوة والضعف فيهم، وفي هذا السياق ذخرت المصادر التاريخية بأمثلة عديدة وعجيبة لما كان عليه حاله معهم، ومن ذلك ما روى عنه من أن رجلاً كوفيًّا دخل على دابة إلى دمشق، فتعلق به أحد الدماشقة مدعيًا أنها ناقته، وجاء بخمسين رجلاً يشهدون على ذلك، وارتفعت الخصومة بينهما إلى معاوية بن أبي سفيان، فقضى له بها، وأمر الكوفي بتسليمها إليه، فقال له الكوفي: أصلحك الله، إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية، هذا حكم قد مضى، فلما ذهب القوم أرسل معاوية في طلب الكوفي وقال له: أمثلي لا يفرق بين جمل وناقة؟! ولكنها حسن السياسة ومداراة الرعية، وأعطاه ثمن بعيره وصرفه محسنًا إليه.

هكذا اشتهر معاوية بقدرته على جذب قلوب رعاياه، فأطاعوه طاعة عمياء، حتى يُقال: إنه بلغ من طاعتهم له أنه صلى بهم صلاة الجمعة في يوم أربعاء، وأعاروه رؤوسهم فكانوا يحملونه عليها، وربما كانت هذه القصص وأمثالها تنطوي

على كثير من المبالغات المشوبة بروح الفكاهة أو حتى السخرية، ولكنها كانت لها دلالاتها الصادقة التي تُعبر عن عمق طاعتهم له من ناحية، وقدرته الكبيرة على توجيه الرأي العام والتأثير فيه من ناحية أخرى(٦٦).

بدأ معاوية بن أبي سفيان أولى حلقات الصراع عقب مقتل عثمان بن عفان، فرفض مبايعة عليٍّ بن أبي طالب بالخلافة إلا بعد أن يأخذ بثأر الخليفة الأموي عثمان، وأعلن نفسه وليًّا للدم ومطالبًا بتسليم القتلة(٦٧)، ولأنه كان يعلم استحالة تحقيق مطلبه، فقد بدأ يستعد ويعد جبهة بلاد الشام لخوض الحروب ضد عليٍّ ومناوئته.

كان معاوية يدرك عظم التحديات التي سيواجهها، وتأتي في مقدمتها؛ مكانة عليٍّ وفضله وسبقه إلى الإسلام وعلمه وشجاعته وتقواه وقرابته للنبي، هذا فضلاً عن قوة جبهته وكثرة أنصاره وعمق تأييدهم له والذي تجلى بوضوح تام في موقعة الجمل ، الأمر الذي كان يعمق من فكرة عدم التكافؤ بينهما، ولم تكن المقارنات التي دأب الرأي العام على عقدها بينهما في صالحه، ومنها: " إن صاحبنا قد عرفت وعرف المسلمون فضله، ولا أظن يخفى عليك أن أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعليٍّ ولن يميلوا بينك وبينه، فاتق الله يا معاوية، فانا والله ما رأينا رجلاً قط اعمل بالتقوى ولا أزهد في الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلها منه". أما معاوية فقد كان على حد قولهم "لم يجعل الله له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، حزب من الأحزاب، طليق ابن طليق، وابن أكلة الأكباد، لم يزل لله عز وجل ولرسوله وللمسلمين عدوًّا هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين "(٦٨).

هكذا أدرك معاوية ومنذ الوهلة الأولى بأنه لن يواجه عليًّا وأنصاره عسكريًّا فحسب، بل سيواجه الرأي العام الإسلامي بأكمله – باستثناء بلاد الشام – والذي بدأ في شن حروب إعلامية ونفسية ضده عيروه فيها بتاريخه وتاريخ أسرته

وقبيلته منذ قبل الإسلام، إلا أن ذلك لم يفت في عضده وقرر أن يخوض هذه المعركة بنفس السلاح، وهو سلاح الرأي العام، وبدأ يُعد الجبهة الشامية ويهيئها للصدام مع الدولة، وخلق رأي عام جديدًا استطاع به أن يغير موازين القوى، وكانت الشعارات الرمزية التي برع في صياغتها هي البطل الرئيسي في هذه المعارك، وهي الوسيلة المؤكدة التي مكنته من الوصول لهدفه. وكان أول وأهم هذه الشعارات:

١) قميص عثمان وكف وأصابع السيدة نائلة:

ما إن وصلت أنباء مقتل عثمان إلى مسامع معاوية، حتى سارع في طلب قميص عثمان الذي كان يرتديه أثناء مقتله وقد ضرج بدمه، وكذلك كف وأصابع زوجته السيدة نائلة، وكانت قد قطعت أثناء دفاعها عن زوجها، وما إن تسلم معاوية القميص والأعضاء البشرية المقطوعة، حتى نصبه على أطراف الرماح مثبتًا فيه الكف والأصابع، وأمر أن يُطاف بهما في الشوارع والميادين وكافة أماكن تجمعات الناس، فاحتشدوا وراءه، وتزاحموا عليه حتى إذا انتهت المسيرات، وضعه في مسجد دمشق وقد ألبسوه منبرها، يقول في ذلك الطبري: " أما أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان ﷺ الذي قُتل فيه مخضبًا بدمه وبأصابع زوجته مقطوعة بالبراجم، أصبعان منها وشيء من الكف، وأصبعان مقطوعان من أصولهما ونصف الإبهام، وضع القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الأجناد وثاب إليه الناس، وبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه[٦٩]". شعار رغم قسوته وبشاعته، ولكنها الحرب التي يباح فيها حتى استخدام الأعضاء البشرية لإثارة عواطف الناس وكسب تعاطفهم وحشدهم تحت لوائه واستقطابهم إلى صفه وتحريضهم للمطالبة بدم المغدور به.

أتى هذا الشعار بنتائجه المرجوة والتي وصفها أحد المعاصرين بقوله: " لقد تركت بالشام ستين ألف شيخ خاضبي لحاهم بدموع أعينهم ، يبكون تحت قميص

عثمان رافعيه على أطراف الرماح، وقد ألبسوه منبر دمشق، وقد آلوا على أنفسهم ألا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام، ولا ينامون على الفرش ولا يشيمون سيوفهم حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن يحول دونهم بشيء، أو تفنى أرواحهم ومكثوا حول القميص سنة، والقميص يوضع كل يوم على المنبر "[٧٠].

وهنا وقفة؛ كان معاوية فيها أسبق فكرًا وأعمق أثرًا حتى من النظريات الحديثة التي تناولت صناعة الرأي العام وآليات تشكيله، فحرصه على رفع الشعار على أسنة الرماح والطواف به في الشوارع والأزقة، ثم وضعه على المنبر يوميًا ولمدة عام هو إجراء قصد به إلى جانب الإثارة العاطفية التي هي أسرع أثرًا وأعمق تأثيرًا، فقد استهدف أيضًا توجيه أنظار الأمة وتركيزها إلى هذا الشعار مرارًا وتكرارًا ، وهو ما يطلق عليه الآن في علم الدعاية والاتصال بأسلوب الملاحقة والتكرار والترتيل والتكثيف، هذا فضلاً عما أحاط به المشهد من مظاهر المبالغة والتهويل، وكلها وسائل استطاع بها معاوية إثارة مشاعر الغضب والانتقام ضد عليّ بن أبي طالب في خطوة أساسية نحو إعادة تشكيل الرأي العام وتغيير اتجاهاته والتحكم فيه.

والغريب في الأمر أن هذه الآليات والوسائل التي استخدمها معاوية لم تكن بخافية على عليٍّ بن أبي طالب ﷺ ولا أنصاره، فقد قال أحدهم يومًا: " يا معاوية إنه والله لا يخفى علينا ما تعزوا وما تطلب، إنك لم تجد شيئًا تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك قتل أمامكم مظلومًا، فنحن نطلب دمه، وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب"[٧١]. وعلى الرغم من ذلك لم يبد عليّ بن أبي طالب استعدادًا لمجاراة معاوية في هذا الميدان، مكتفيًا بأسلوب الخطب الطويلة ومحاولات الإقناع وما يكتنفها من جدل ونقاش وخلاف، الأمر الذي كان ينذر بتفوق كفة معاوية على كفة عليٍّ (ﷺ) منذ بدايات الصراع.

بعد أن نجح هذا الشعار في تحقيق أهدافه في الحشد والاستقطاب والتحريض، وضج أهل الشام بصيحة واحدة " **واعثماناه واعثماناه** "، وأصبحوا هم من يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان، بدأ معاوية ينتقل إلى هدفه الحقيقي الأسمى، وهو **المطالبة بالخلافة**، متبعًا في ذلك ما يُطلق عليه في علم الإعلام والاتصال حاليًا بسياسة التدرج، والتي تعني تقديم ما هو غير مقبول للرأي العام بصورة تدريجية، والواقع أن خلافة معاوية لم تكن أمرًا مطروحًا بين المسلمين في هذه الفترة المبكرة، بل كانت أمرًا مستبعدًا عن أذهان الناس وكثيرًا ما سُئل استنكارًا: "كيف تناوئه وليست لك سابقته وقرابته وفضله وصاحبنا أحق البرية كلها بهذا الأمر؟! فكان رده دائمًا: لست أدعي أني مثله في الفضل، ولكن هل تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا؟ فليدفع لنا قتلته حتى نسلم إليه هذا الأمر ". فكانت تلك حجته. وهو يعلم استحالة تنفيذ مطلبه، خاصة عندما علم أن عليًّا دخل يومًا المسجد لمناقشة هذا الأمر مع أنصاره، فإذا هو بزهاء عشرين ألف رجل وقد لبسوا السلاح استعدادًا للقتال، وقد صاحوا صيحة واحدة، كلنا قتلة عثمان ". كما أن كثيرًا ممن تورط في القتل تفرقوا في البلدان وعادوا إلى قبائلهم وعصبياتهم الأمر الذي كان يستحيل معه محاربتهم حقنًا للدم ورأبًا للصدع، كذلك لا يجوز في الإسلام تسليم القاتل لأهل المقتول، بل يتولى ولي الأمر تطبيق الحد، لهذا أرسل عليٌّ بن أبي طالب إلى معاوية برده القاطع " إني ضربت أنف هذا الأمر وعينه فلم أر يستقيم دفعهم إليك ولا إلى غيرك "(٧٢).

التقط معاوية هذا الرد ، واستعد لدعوة أهل الشام إلى خلافته، وبدأ في استشارة عمرو بن العاص، فنهاه عن ذلك وقال له: "لست أرى أن تدعو أهل الشام إلى الخلافة، فإن ذلك خطر عظيم"(٧٣). فبدأ معاوية يعمل على تقريب الفكرة إلى الرأي العام متبعًا في ذلك سياسة التدرج على النحو التالي:

بدأ في لبس قميص عثمان المضرج بدمائه، وقد علق على أردانه أصابع

السيدة نائلة ﵂ بكل ما يعنيه هذا القميص من معاني استقرت في أذهان الناس منذ أن رفض عثمان خلعه قائلاً: "لا أخلعن قميصًا ألبسنيه أو قمصنيه الله إياه وخصني به دون غيري". ومنذئذ اكتسب هذا القميص مكانة كبرى حتى أطلق عليه اسم "قميص الله" وأصبح بذلك رمزًا للتفويض الإلهي واختيار الله للاستخلاف على عباده، وهو ما عبر عنه معاوية بقوله: " هذا سلطان الله الذي أعطانا "[٧٤]. عندئذ فقط بدأ كبار الصحابة يتقبلون فكرة استخلاف معاوية، بل ويناقشونها في مجالسهم واجتماعاتهم، حتى إن الصحابي سعد بن أبي وقاص وكان من المبشرين بالجنة قال: والله ما رأيت رجلاً أخلق (أليق) بالملك من معاوية "[٧٥]. الأمر الذي جعل من هذا الشعار إيذانًا ببدء تحولات جذرية في تاريخ الأمة الإسلامية وانتقالها إلى الملك الأموي.

٢) شعار المصاحف فوق أسنة الرماح:

تتابعت الأحداث التي أفاضت المصادر التاريخية في وصف تفاصيلها من مفاوضات ومناوشات وصدامات، حتى كانت معركة صفين حيث التقى المعسكران وكادت أن تتكشف بانتصار عليٍّ وهزيمة معاوية، الأمر الذي كان يُنذر بإنهاء حلمه وتبدد مطامعه، ولكن سرعان ما جاءته النجدة على يد حليفه عمرو بن العاص الذي أشار عليه برأي كان له أبلغ الأثر في تحول مسار الدولة الإسلامية، لخصه الطبري في حوادث سنة ٣٧هـ/٦٥٧م بقوله: " لما رأى ابن العاص أن أمر العراق قد اشتد، وخاف في ذلك الهلاك، قال لمعاوية: هل لك من أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعًا ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: بلى ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنا إلى حين، فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا، هذا كتاب الله بيننا وبينكم "[٧٦].

ويفصل أبو حنيفة الدينوري في أخباره الطوال مشهد رفع هذا الشعار الجديد بقوله: "أمر معاوية جنده أن يربطوا المصاحف على أطراف القنا (جمع قناة) وهي الرماح، فربطت المصاحف، فأول ما ربط مصحف دمشق الأعظم، وربط على خمسة رماح يحملها خمسة رجال، ثم ربطوا سائر المصاحف وجميع ما كان معهم، وأقبلوا في الغلس، ونظر أهل العراق إلى أهل الشام وقد أقبلوا وأمامهم شبيه الرايات، فلم يدروا ما هو، حتى أضاء الصبح فنظروا فإذا هي المصاحف، ونادى أهل الشام، هذا كتاب الله بيننا وبينكم "[٧٧].

ولنتوقف أمام هذا الشعار الذي تجمعت فيه كل عناصر البراعة والدهاء، فكان الأعمق أثرًا والأكثر تكرارًا في تاريخ الشعارات الإسلامية.

أولاً: رفع المصحف فهو كتاب الله المقدس الذي به يؤمنون، وبأحكامه يحكمون وبتطبيق حدوده ملزمون، لذلك فقد حظي في أول الأمر بإجماع الموافقة والقبول، حتى إن عليًّا وكان أعلم الناس بحقيقة هذا الشعار وطوية صاحبه، حذر جنده من هذه الخديعة، فلم يُقبل له قولٌ، بل هددوه بالانفضاض من حوله إن رفضه، وتحت ضغط قوة الرأي العام التي أحدثها هذا الشعار في جبهة عليٍّ، اضطر للنزول على رأيهم وقبل التحكيم[٧٨]. والجدير بالذكر في هذا المقام أن عليًّا كان أسبق من معاوية في الدعوة إلى تحكيم كتاب الله، وأرسل إليه مصحفًا مع فتى من أنصاره وعلى الرغم من قتل الرسول وقطع يديه[٧٩]، إلا أن هذه الحادثة مرت مثل باقي الأحداث لم يتوقف أمامها أحد، ولكن هذه الدعوة بعينها عندما رفعها معاوية بن أبي سفيان وأضفى عليها من شخصيته وطوعها لأهدافه، وصبغها بدهائه وذكاء حيلته استطاع أن يتخذ منها شعارًا مهد به طريقًا أوصله إلى كرسي الخلافة وعرش الملك على نحو ما سنرى.

ثانيًا: توقيت رفع هذا الشعار، ذكرت المصادر أنه رُفع في وقت الغلس، وهو

آخر خيط من ظلام الليل وقبيل الإصباح، ومن المعروف أن المعارك آنذاك كانت تتوقف مع غروب الشمس لتستأنف مع صباح اليوم الجديد، وهنا يتجلى ذكاء معاوية بن أبي سفيان في اختيار هذا التوقيت بعد فترة الراحة والسكون طول الليل، وقبل أن يستنهض جنود عليّ عزائمهم ويستعيدوا نشاطهم، فهم عندئذ أقرب إلى السكينة منها إلى الحماسة والاندفاع والغضب. ومن هنا كانوا إلى قبول السلم والتحكيم أقرب، إذ لو كان رفع في وسط النهار وعند احتدام القتال، فلا شك أنه لن يكون له الأثر المطلوب.

ثالثًا: كان من عوامل نجاح هذا الشعار أنه جاء متوافقًا تمامًا مع الجماهير الموجه إليهم، ومتماشيًا مع مكنوناتهم النفسية وتوجهاتهم الدينية، فمعظم أنصار عليٍّ بن أبي طالب كانوا من القُراء الذين نصبوا أنفسهم حماة للقرآن وحراسًا على الدين ولسانًا للعقيدة، وكانوا في ذلك غاية التشدد والتعصب والحماسة، حتى إنهم كانوا يدعون بأصحاب الجباه السود من كثرة صلاتهم وقيامهم وتهجدهم، ويقضون ليلهم في قراءة القرآن وذكر الله حتى كان لهم دوي كدوي النحل، فلما رفعت المصاحف انخدعوا ونادوا بقبول التحكيم، وأرغموا عليَّ بن أبي طالب على قبوله، وقالوا: " ما يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله، يا عليّ أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعل بك كما فعلنا بابن عفان [٨٠]".

هكذا نجح هذا الشعار في بذر الشقاق والانقسام في جيش عليٍّ محققًا في ذلك ما عجزت الحروب والمعارك عن تحقيقه.

وأمام هذا الإجماع ونزولاً على تبعات هذا الشعار، بدأت الإجراءات لعملية التحكيم واختيار المحكمين على الرغم مما أبداه عليّ بن أبي طالب من اعتراض وما بذله من جهود في تبصيرهم بحقيقة هذا الشعار وما ينطوي عليه من مكر

وخديعة، وكان مما قاله لهم: " والله ما الكتاب يريدون ولكن المكر يحاولون، عباد الله أمضوا على حقكم وصدقكم في قتال عدوكم، ويحكم إنهم ما رفعوها لكم إلا خديعة ودهانًا (نفاقًا)، رفعوها ولا يعلمون ما فيها، وإني قاتلهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب، فإنهم عصو ونبذوا "، فلما لم تجد هذه النصائح والتحذيرات وظلوا على حماستهم واندفاعهم لقبول التحكيم، اضطر عليٌّ بن أبي طالب للنزول على رغبتهم مكرهًا، وقال: " فاحفظوا عني نهي إياكم، واحفظوا مقالتكم لي"[٨١]. صورة نادرة تجلت فيها الحرية السياسية في أبلغ صورها، وتجلى فيها مدى احترام الدولة الإسلامية لرأي الأمة باعتبارها صاحبة السيادة ومصدر السلطات، كذلك توضح مدى ثقل الرأي العام وفاعليته إذ كان هو المحرك الأساسي لكل هذه الأحداث.

مع إمعان النظر في تبعات هذا الشعار أخذت الأحداث تشهد تحولاً جذريًّا في مسارها على أثر إعلان القراء أنفسهم ، وكثير من أنصار عليّ بن أبي طالب ﷺ، الرجوع عن رأيهم ورفضهم للتحكيم، ورفعوا شعارًا آخر مناقضًا لشعار معاوية بن أبي سفيان وهو "**لا حكم إلا لله**". وحاولوا إكراه علي بن أبي طالب على رفض التحكيم واستئناف القتال، ورموه بالكفر، وطالبوه بالتوبة ثم إعادة مبايعته " تب من خطيئتك وارجع إلى قضيتك ، وأخرج بنا إلى عدوك نقاتلهم حتى نلقى ربنا". و"قد كان ذلك منا كفرًا، وقد تبنا إلى الله منه، فتب كما تبنا، وإلا فنحن مخالفون" وهددوه بالحرب والعزل والقتال[٨٢]. ومن هنا كانت نشأة حزب الخوارج الذي أضعف كثيرًا من جبهة عليّ بن أبي طالب لصالح معاوية بن أبي سفيان، الأمر الذي كان يمثل إرهاصات فوزه في هذا الصراع.

هكذا بدأ الأمر بشعار رمزي ذكي، رفعه معاوية بن أبي سفيان استطاع به أن يوقف حربًا كانت الهزيمة فيها مآله لا محالة، ليس هذا فحسب، بل تمكن به أن يشق الصف بين عليٍّ بن أبي طالب وأنصاره، ويبذر بذور الفتنة والانقسام بينهم وبين قائدهم، حتى وصل بهم الحال إلى تكفيره ، والتهديد بعزله، ومحاربته،

محققًا بهذا الشعار ما عجزت جيوشه وجيوش من قبله عن تحقيقه، الأمر الذي يؤكد الأثر الكبير للشعارات السياسية باعتبارها إحدى الآليات الأساسية لبناء الرأي العام وتشكيله.

رابعًا: الصيحة التي صاحبت الشعار: صاحب هذا الشعار الرمزي المتمثل في رفع المصاحب على أسنة الرماح، شعارات أخرى لفظية كان منها: " يا معشر العرب، الله الله في نسائكم وأولادكم". "من لفارس والروم غدًا إذا فنيتم"؛ " من لثغور العراق إذا فني أهل العراق، ومن لثغور الشام إذا فني أهل الشام"(٨٣).

شعارات لا تقل ذكاءً ولا دهاءً عن مجمل الشعار، فهي في ظاهرها دعوات بريئة للسلام، ولكنها تنطوي على إثارة مشاعر الفزع والرعب في نفوس الأمة من استمرار القتل والقتال، واستدعاء ذكرى التهديد الفارسي والرومي لدولتهم، والتذكير بما ينتظر نساءهم وأولادهم من مخاطر السبي والرق إذا ما تمادوا في هذا الصراع، الأمر الذي كان من شأنه أن يشجعهم على الجنوح للسلم ونبذ الخلاف والنظر بعين المسؤولية إلى صالح الدولة والأجيال القادمة، والواقع أن استخدام التهديد أو الترهيب لإجبار الناس على قبول ما يفرض عليهم من الحيل النفسية التي تطبق حاليًا وفقًا لأحدث النظريات السياسية في بناء الرأي العام وتشكيله والتحكم فيه، الأمر الذي يكشف بجلاء عن مدي النضج والوعي الذي كان عليه حكام هذه الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام.

معاوية بن أبي سفيان وبناء رأي عام جديد:

كان معاوية بن أبي سفيان يدرك عمق التحديات المقدم عليها، وعظم الهدف الذي يسعى لنيله، وغرابة المعركة التي يستعد لخوضها، فهي معركة لا يصلح معها قوة عسكرية، ولا جيوش حربية، انما هي معركة رأي عام، وقد عبر عن ذلك صراحة فقال: " إن هذا الأمر الذي نهم به لا يصلح إلا برضا العامة وطاعة

الناس " ومن هنا واصل سعيه لخلق رأي عام يحظى من خلاله بالرضا والتأييد، أو كما ورد على لسان الطبري:" الحصول على طاعة الناس والولاية عليهم"(٨٤).

كان من حسن الحظ أن أوردت بعض المصادر التاريخية تفاصيل خطته وإجراءاته لبناء رأي عام جديد يرى أنه الأحق بالخلافة من عليٍّ بن أبي طالب صاحب السبق والفضل والعلم والقربى والنسب، فبدأ مستعينًا في ذلك بما يطلق عليهم قادة الرأي من السادة والأشراف وكبار الشخصيات ذوي المكانة والثقل والتأثير في المجتمع الشامي، وكان على رأسهم شرحبيل بن السمط، ولكي يقنعه بأن عليًّا مالأ على قتل عثمان بن عفان أرسل لاستقدامه إليه، ثم وطن له الرجال على طول الطريق يخبرونه أن عليًّا قتل عثمان، وكان هؤلاء الرجال قد تم اختيارهم مسبقًا من أهل الرضا والثقة عنده، ولم يزل شرحبيل يلقى الرجل بعد الرجل من هؤلاء فيخبرونه بما هو متفق عليه، حتى تعلقت هذه الكلمة بقلبه، ولما دنا من دمشق أمر معاوية أشراف الشام بحسن استقباله وتعظيمه، وكان كلما خلا برجل منهم ألقى إليه بهذه الكلمة، وذلك بترتيب من معاوية، حتى إذا أقبل شرحبيل عليه ودخل إليه غاضبًا وقال: أبى الناس إلا أن عليًّا قتل عثمان، والله لئن بايعته لنخرجنك من الشام"، فقال معاوية: " ما كنت لأخالف أمركم، وإنما أنا واحد منكم، وإن هذا الذي تهم به لا يصلح إلا برضا العامة، فسر إلى مدائن الشام وأعلمهم ما نحن عليه من الطلب بثأر خليفتنا وبايعهم على النصرة والمعونة "، فسار شرحبيل يستقرى مدن الشام مدينة مدينة يحرض الناس على عليٍّ ويحشدهم تحت لواء معاوية، " فأجابه الناس كلهم، وأعلنوا طاعتهم له "(٨٥).

تفاقم نجاح معاوية في معركة بناء الرأي العام إلى أبعد من ذلك إذ أسلس الناس له قيادتهم، وفوضوا إليه أمرهم، وسلموا إليه عقولهم وألسنتهم، على عكس عليّ وأنصاره ذوي الخلاف والاختلاف، وقد لفت ذلك نظر أحدهم فقال محصيًا نقاط القوة عند الفريقين: " إنك يا معاوية تقوى بدون ما يقوى به عليّ، لأن معك

قومًا لا يقولون إذا سكت، ويسكتون إذا نطقت، ولا يسألون إذا أمرت، ومع عليّ قوم يقولون إذا قال، ويسألون إذا سكت، فقليلك خير من كثيره"(٨٦).

وإذا كان هذا حال معاوية في جنده وأنصاره، فإن عليًا على النقيض من ذلك، ففي إحدى رسائله إلى عبدالله بن العباس يشكو فيها منهم، ويصور ابتلاءه بهم، كتب يقول: " قد قمت في الناس، وأمرتهم بالجهاد، ودعوتهم سرًا وجهرًا وعودًا وبدءًا، فمنهم من أتى كارهًا، ومنهم من اعتل كاذبًا، ومنهم القاعد حالاً، أسأل الله أن يجعل لي منهم مخرجًا وفرجًا، وأن يريحني منهم عاجلاً، والله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة لا أحببت أن أبقى مع هؤلاء يومًا واحدًا"(٨٧).

هكذا كانت للشعارات أبلغ الأثر في توجيه وتشكيل الرأي العام، وإعادة توزيع مراكز القوة بين المعسكرين، والحقيقة أننا في هذه المقارنة لا نستطيع أن نغفل أو نقلل من أثر طبيعة بلاد الشام وبلاد العراق فهما رغم جوارهما منفصلان تمامًا، حيث كانت بلاد الشام خاضعة لسلطان الروم في حين خضع العراق لسلطان فارس، فاصطبغ الإقليمان بصبغتين مختلفتين، وكانت القبائل التي تسكن الشام في أصلها وفي معيشتها مختلفة عن القبائل التي سكنت بلاد العراق، الأمر الذي كان يزيد من هوة الخلاف بينهما.

ثم كان هناك أيضًا قراء العراق الذين كانوا يمثلون قوة لا يستهان بها في جيش عليٍّ بن أبي طالب، وهم أهل التشدد والتعصب والحماس، حملوا لواء المراقبة ثم المعارضة ضد سياسات عليّ، فكانوا يتدخلون في كل شيء ويسألون عن كل شيء، ويناقشون كل شيء، ويفرضون رأيهم في كل شيء سواء في السياسة وفي الحرب حتى أن عبدالله بن عباس زجرهم يومًا وقال لهم: " للسياسة أسرارها، أما تعقلون "(٨٨). ولاشك أن هذه التركيبة العقلية هي التي فرضت على عليٍّ أن يلجأ إلى الخطب الطويلة البليغة، مخاطبًا عقولهم تارة، وإيمانهم تارة أخرى، وساعده على ذلك بلاغته(٨٩)، الأمر الذي فتح المجال للجدل والنقاش

والخلاف، وانتهى بهم الحال إلى شق عصا الطاعة والخروج عليه. في حين كانت بلاد الشام أسلس في قيادتها في ظل دهاء معاوية بن أبي سفيان وبراعة شعاراته التي كفلت له توحيد الرأي العام تحت لوائه، والإنضواء في طاعته في حالة استثنائية بين حاكم ومحكومين(٩٠).

ظلت الشعارات السياسية التحريضية تزيد من هوة الخلاف بين عليٍّ ورعيته، حتى بلغت غاياتها باستشهاد عليٍّ بن أبي طالب سنة ٤٠هـ /٦٦٠م على يد أحد رعاياه ممن كان قد سخط على ما آلت إليه البلاد من حروب وانقسامات، وباستشهاده ﷺ (٩١). وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة لمعاوية إيثارًا لحقن الدماء وتوحيدًا لشمل المسلمين، حتى بدأ عصر جديد وهو عصر الدولة الأموية ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م.

الخلاصة:

على الرغم من كل نقاط القوة في جبهة علي بن أبي طالب، إلا أن معاوية ابن أبي سفيان استطاع بثاقب بصره أن يدرك أن محور الارتكاز في عصره هو الرأي العام، فاتخذه محورًا لسياساته وخاطبه بشعاراته الذكية التي تمكن بها من تغيير موازين القوى، فاحتشد الناس تحت لوائه، وبث الفرقة والانقسام في جيش عليٍّ، فتارة يثورون عليه وتاره يكفرونه، وثالثة يحاربونه، حتى انتهى الأمر فقتلوه، الأمر الذي هيأ لتحولات جذرية في الدولة الإسلامية إثر قيام الدولة الأموية.

نماذج من شعارات المعارضة الأموية:

وكما كان قيام الدولة الأموية مرهونًا بنجاح شعاراتها الذكية في خلق رأي عام جديد وحشده تحت لواء قائدها، فكان داعمًا له ومساندًا في قيامها، من ناحية، وبثًّا لروح الفرقة والانقسام في صفوف معارضيها من ناحية أخرى على

نحو ما رأينا بالتفصيل آنفًا، فإن هذه الدولة شهدت أيضًا شعارات غير موفقة كانت وبالاً على أصحابها، إذ خرجت على المألوف ولم تراع المكنونات النفسية والعقلية، والتوجهات الدينية وثوابت العقيدة، فاصطدمت بالجماهير المتلقية لها، فكان ذلك إيذانًا بفشلها والقضاء عليها، بل وشن حملات إعلامية ضد متخذيها، وظلت لعنتها تلاحقهم عبر الزمان، وقد توقفت الدراسة عند نموذج من هذه الشعارات، وهو شعار المختار بن أبي عبيد الثقفي.

الكرسي شعارًا لحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي:

أعلن المختار بن أبي عبيد الثقفي – وكان من ولد أبي عبيد من قادة الفتح في العراق – خروجه على الدولة الأموية سنة ٦٦هـ/٦٨٥م مطالبًا بالأخذ بالثأر لمقتل الحسين بن علي [٩٢]، واتخذ من الكوفة منطلقًا لثورته، وذلك لتشيع أهلها وميولهم العلوية، فضلاً عن أنه كان بها أكبر تجمع للعناصر الفارسية الذين أضمروا العداوة ضد الأمويين بسبب سياساتهم العنصرية، وتعصبهم للعرب على حساب الفرس فانضموا إليه بأعداد غفيرة، وفي ذلك يقول أبو حنيفة الدينوري: " دعا أهل الكوفة إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين فاستجاب له بشر كثير، وكان من أكثر من استجاب له همذان، وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة، وكانوا يسمون الحمراء، وكان منهم بالكوفة زهاء عشرون ألف رجل، كما انضم إليهم أولاد الأساورة من أهل فارس والمرازبة، وهؤلاء كانوا أشد بصيرة في قتال أهل الشام "[٩٣].

ولإضفاء الشرعية على حركته، وضم المزيد من الأنصار، ادعى المختار اتصاله بمحمد بن الحنفية – وهو أخ غير شقيق للحسن والحسين – مستأذنًا منه في المطالبة بدم الحسين، فأذن له وأصبح بذلك وليًّا للدم والمطالب الشرعي بحقه، واتخذ لنفسه لقب أمير آل محمد ووزيرهم، فانضمت إليه أعداد غفيرة من شيعة عليٍّ وأنصاره من سائر البلاد والأمصار[٩٤].

وأمام عنف الدولة الأموية في التنكيل بأعدائها خاصة العلويين، كان من الطبيعي أن يلجأ المختار إلى سلاح الشعارات لضمان ضم المزيد من الأنصار وحشدهم، وتحريض الرأي العام ضد الدولة، ولم يكن هناك أقوى من صيحة الثأر، ولا أوسع منها فقد كانت تتسع لتحوي ما هو معلن وما هو غير معلن من أهدافه، فاتخذها محورًا لشعاراته والتي جاءت على النحو التالي:

١) يا لثأرات الحسين :

هذا الشعار الذي سيظل ماثلاً في أذهان الشيعة قرونًا طويلة، وعلمًا لها، فكان صيحة اهتزت لها جنبات الكوفة وما حولها من مدن العراق، فتوافد الناس عليه بالآلاف، وبما قدر عددهم باثنى عشر ألفًا، جاءوا يلبون داعي الله – على حد قولهم – ويبايعونه على الطلب بدم الحسين. وقد استبدت بهم الحماسة الدينية وروح الإقدام، فتركوا وراءهم أموالهم وأولادهم ونساءهم، وخرجوا بسلاحهم لا يلوون على شيء سوى القصاص أو الموت، وبذلك غلب المختار على الكوفة ودانت له مدن العراق وسائر البلاد والجزيرة والشام ومصر(٩٥).

أراد المختار أن تعم ثورته جميع الأمصار الإسلامية خاصة بلاد الشام، حيث مركز الدولة الأموية ومقر عاصمتها ومعقل سلطانها وأنصارها، فرفع شعارًا آخر مع شعاره الأساسي وهو " **يا لثأرات عثمان** " معيدًا إلى الأذهان حادثة مقتل عثمان، ومذكرًا أهل الشام بشعارهم القديم، والذي اتخذته الدولة الأموية وسيلة لتحقيق أهدافها، والتي ما إن وصلت إليها حتى حنثت في وعدها، ولم يعد يسمع عن ثأر عثمان حديثًا، قاصدًا من ذلك تأليب وتحريض أهل الشام ضد دولتهم، وإحراج مركزها أمام أنصارها ورعاياها وإظهار خلفائها بمظهر الناكثين لوعودهم، المستغلين لرعيتهم والمخادعين لهم.

تعمق المختار بن أبي عبيد الثقفي في التراث الإسلامي، فاتخذ شعارًا آخر من عصر النبوة وزمن الرسول عليه الصلاة والسلام هو: " **يا منصور أمت** " أي

أمت الباطل والضلال من حكم الأمويين، واستكمالاً لهذه الشعارات أطلق على جنده شعار: " يا شرطة الله "، وصاحب ذلك إشعال النيران في قصبات طويلة ورفعها عاليًا(٩٦).

حددت هذه الشعارات الحماسية أهداف المختار المعلنة وخطة عمله فولى شرطة الكوفة أحد رجاله الأشداء ويُدعى كيسان أبا عمرة، وأمره أن يجمع ألف رجل من الفعلة بالمعاول وتتبع دور كل من خرج إلى قتال الحسين بن عليٍّ فيهدمها، وكان أبو عمرة عارفًا بهم، محصيًا أخبارهم، فكان يدور على دورهم فيهدمها عليهم، فإذا خرج أحد منهم إليه قتله، حتى هدم دورًا كثيرة وقتل أناسي كثيرة وجعل يبالغ في الطلب والاستقصاء، فمن ظفر به قتله، وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه(٩٧).

سار المختار على سياسة التدرج التي أشرنا إليها آنفًا كإحدى الآليات التي استخدمت في تشكيل الرأي العام ومحاولة إقناعه بما هو غير مقبول وبما يصعب قبوله في وقته الراهن، ذلك لأنه لما اطمأن إلى أن خطته تسير في طريقها المرسوم، محققًا بها وبشعاراته انتصارات كبيرة على الدولة الأموية، بدأ ينتقل إلى هدفه الحقيقي وغايته السرية والتي حرص على كتمانها، وإن كان قد اضطر للاعتراف بها لأحد أصحابه في أخريات أيامه، وفي ذلك يقول الطبري: "قال له أحد أصحابه يومًا: لقد ظن الناس أن قيامك بهذا الأمر دَيْنونة (أي لطلب الدين) فقال المختار: لا لعمري ما كان إلا لطلب دنيا، فإني رأيت عبد الملك بن مروان قد غلب على الشام، وعبد الله بن الزبير على الحجاز ومصعبًا على البصرة، ونجدة الحروري على العروض (اليمامة)، وعبد الله بن خازم على خراسان، ولست دون أحد من رجال العرب، ولكن ما كنت أقدر على ما أردت إلا بالدعاء إلى الطلب بثأر الحسين "(٩٨).

عبارة تكشف بجلاء عن أطماع المختار في إقامة كيان سياسي له على

غرار غيره من الفرسان المتغلبين على الأمصار الإسلامية، ولكن المختار لم يكن يستطيع الجهر بخفايا نفسه، إذ كان هذا كفيلاً بانفضاض شطر كبير من أنصاره من حوله، بل ومناصبته العداء، وعلى رأس هؤلاء أبناء البيت العلوي وشيعتهم الذين كانوا يرون أنهم أصحاب الحق الشرعي في الخلافة، لذلك بدأ في تقريب الفكرة إلى أذهان أنصاره دون البوح بها، ومقتديًا في ذلك بمعاوية بن أبي سفيان عندما ارتدى قميص عثمان ليوحي إلى أنصاره أنه الأولى والأحق في خلافته على نحو ما ذكرنا، ولكن هيهات ما بينهما.

٢) كرسي عليٍّ بن أبي طالب ﷺ:

اتخذ المختار كرسيًّا مدعيًا أنه كرسي عليٍّ بن أبي طالب ﷺ وأن فيه آثره من علم، أما عن قصة هذا الكرسي، فقد أوردها الطبري في تاريخه فقال " كان قد طلب من آل جعدة بن هُبَيرَة بن أبي وهب المخزومي – وكانت أم جعدة هي أم هاني بنت أبي طالب، أي أخت عليٍّ بن أبي طالب لأبيه وأمه – قال لهم: " ائتوني بكرسي علي بن أبي طالب فاعتذروا وقالوا: والله ما عندنا وما ندري من أين يجيئ به، فقال، لا تكونن حمقى، اذهبوا فأتوني به، فظن القوم أنهم لا يأتون بكرسي فيقولون هذا كرسي عليٍّ إلا قبله منهم، فجاءوا إليه بكرسي فقبله ".

أما عن حقيقة هذا الكرسي، فقد حدث بها طفيل بن جعدة بن هُبَيرَة، فذكر أنه لما ضيق المختار عليهم في طلب الكرسي، خرج يومًا من داره، فإذا بزيات جار له وقد وضع في حانوته كرسيًّا، وقد ركبه وسخ شديد، فاستأذنه وأخذه وغسله، فخرج عود نضار، وقد تشرب الزيت فأصبح لامعًا ذا بريق، وقدمه للمختار، ففرح به وأمر له باثنى عشر ألفًا، ثم دعا الصلاة جامعة، فانطلق أنصاره يجرون إلى المسجد، فقال لهم: " إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله، وإنه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وإن هذا فينا مثل التابوت"(٩٩).

تقبله أنصاره من الفرس قبولاً حسنًا، ولعل دوافعهم لذلك كانت مفهومة إذ إن بعضهم كان حديث عهد بالإسلام، ولا تزال بقايا عقيدتهم القديمة راسخة في أذهانهم، يُضاف إلى ذلك كراهيتهم للدولة الأموية وللدين الإسلامي، تلك الكراهية التي استمرت وتجلت في العصر العباسي فيما عرف بالحركات الفارسية الهدامة. ولكن الغريب في الأمر كانت في مشاركة بعض العرب في تقديسه والإيمان بما نسجوه حوله من خرافات وأراجيف، وقد عصبوه بالحرير والديباج وفاخر الثياب، واتخذوا له سدنة وكان أول من سدنه هو موسى بن أبي موسى الأشعري، وكان المختار يأتي إليه ليحف بالكرسي ويتمسح به، فلما عُتب عليه في ذلك استحيا منه، ودفعه إلى حوشب البرسمي أحد رؤوس أنصار المختار الذي لقب بـ " صاحب أمر الكرسي " وظل في عهدته حتى هلك المختار، وكان يساعده جماعة يعرفون بـ " أصحاب الكرسي" مهمتهم حمايته وصيانته.

وفي الحروب كانوا يحملون الكرسي على بغل أشهب، يمسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة، ويتقدمهم كبير السدنة، وما أن يُرفع عن الكرسي أثوابه، حتى يرفعوا أيديهم إليه يكبرون ثلاثا، ويستنصرون به، يرجون نصر الله بشفاعته، يقول الطبري في ذلك: " وقف يومًا صاحب أمر الكرسي يدعو ويقول: " يا رب عمرنا في طاعتك وانصرنا على الأعداء واذكرنا ولا تنسنا واسترنا يا ربنا، وأصحابه يقولون: آمين آمين ".

كانت انتصارات المختار على الدولة الأموية مدعاة لتصديق أكذوبة الكرسي واستفحالها، يقول الطبري: " لما علم المختار أن عبيدالله بن زياد قد قدم بأهل الشام لمحاربته، خرج بالكرسي على بغل، فقتل من أهل الشام مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها، فزادهم في ذلك فتنة وارتفعوا حتى تعاطوا الكفر"(١٠٠).

وهكذا استغوى المختار بهذا الشعار وما نسجه حوله من أكاذيب وخرافات كثيرًا من ضعاف العقول والإيمان والغوغاء والعبيد والأعراب، حتى إن أحد

عمومه الأعشى وكان شيخًا يكنى أبا أمامة كان يأتي مجلس أصحابه فيقول: قد وضع لنا اليوم وحي ما سمع الناس بمثله، فيه نبأ ما يكون من شيء إلى آخر الزمان "[١٠١].

وإزاء هذا التطور الخطير، بدأ كثير من عقلاء العرب ينتقدون هذا الشعار، ومنهم إبراهيم بن مالك بن الأشتر – أحد كبار المشاركين في هذه الحركة – فعندما كان يرى سدنة الكرسي وقد عكفوا عليه ورفعوا أيديهم إلى السماء يستنصرونه، يجهر قائلاً: " اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، سُنَّة بني إسرائيل – والذي نفسي بيده – إذ عكفوا على عجلهم، وتعالت صيحات التحذير من فتنة هذا الكرسي، ومنها صيحة شبث بن الربعي الذي نادى في قومه: " يا مضر لا تكفرن ". وعلى الرغم من تكالب أصحاب الكرسي عليه فصدوه وأخرجوه من بينهم، إلا أن ذلك لم يحل دون استنكار عموم الناس واستهجانهم، مما أثار خوف المختار من انكشاف أمره، وانفضاض أنصاره عنه، فغيبه وأخفاه ولم يعد له ذكر.

أثار هذا الشعار استياء الرأي العام، فانقلب على متخذيه، وكان من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى فشل الحركة وافتضاح أمرها، بل وتوجيه تهمه الكفر وأعمال السحر وادعاء النبوة إليه وإلى أنصاره، وفي ذلك قال أحدهم:

شَـــهِدتُ عَلَـــيكُم أَنَّكُـــم سَـــبَئِيَّةٌ ... وَإِنّي بِكُم يا شُرطَةَ الكُفرِ عارِفُ
وَأُقسِـــمُ مـــا كُرسِـــيُّكُم بِسَـــكينَةٍ ... وَإِن كـانَ قَد لُفَّت عَلَيـهِ اللَفـائِفُ
وأنه لُبِسَ كالتابوتُ فيناً وَإِن سَعَت ... شـــبام حَوالَيـــهِ ونهـــد وخـــارِف
وَإِنّـــي اِمـــرُؤٌ أَحبَبـــتُ آلَ مُحَمَّـــدٍ ... واتبعتُ وَحيًا ضُمِّنَتهُ المَصاحِفُ

ويقول آخر:

أَبلِـغ أَبـا إِسـحاقَ إِن جِئتَـهُ ... أَنّـــي بِكُرسِـــيِّكُم كـــافِرُ
تَنـــزو شِـــبامٌ حَـــولَ أَعـــوادِه ... وَيَحمِـــلُ الـــوَحيَ لَـــهُ شـــاكِرُ

مُحمَـــرَّةً أَعيـــنُهُم حَولَـــهُ كَـــأَنَّهُنَّ الحِمَّـــصُ الحـــادِرُ

انتهت هذه الحركة بمقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي سنة ٦٧هـ/٦٨٦م على يد مصعب بن الزبير الذي أمر بكفه فقطعت ثم سُمِرت بمسمار حديد في أحد حوائط الكوفة، رمزًا للنصر ودحرًا للكفر وإرضاءً للرأي العام(١٠٢).

والملاحظ أنه في هذه الفترة وما تلاها شاع استخدام الأعضاء البشرية، خاصة رؤوس القتلى وأحيانًا أكفهم وأيديهم وتنصيبها على رؤوس الرماح والطواف بها في أرجاء المدن كشعارات ورموز للنصر في المعارك ترغيمًا للأعداء، وترهيبًا لهم(١٠٣). وعلى الرغم من بشاعة هذه الشعارات الرمزية إلا أنها كانت تتفق مع عظم الخطر الذي كانوا يمثلونه في نظر المتغلبين والمنتصرين.

والخلاصة: مما سبق يوضح ويؤكد على:

أولاً: أن نجاح أو فشل أي حركة سياسية كان مرهونًا بنجاح أو فشل شعاراتها في تحقيق أهدافها وعلى رأسها حشد الرأي العام واستقطابه تحت لوائها، وانضواء الجماهير تحت مظلتها.

ثانيًا: الشعار الناجح لا يكون وليد صدفة أو هوى، وإنما ينبع من فكر سياسي عميق ومدروس بحيث يراعي فيه أهداف الحركة وفكرها من ناحية، والمكنون النفسي والعقلي والثقافي والديني للجماهير المتلقية له حتى لا تنقلب عليه فيكون وبالاً على متخذيه.

ثالثًا: ألقت هذه الحركة الضوء على مدى قوة الرأي العام الإسلامي وصلابته، ونضجه السياسي ووعيه الديني، فقد استعصى على كل ما من شأنه إغواءه أو إلهاؤه عن صحيح عقيدته، أو العبث بدينه، وتصدى لهذه الحركات منكسًا شعارها وفاضحًا أصحابها.

رابعًا: كان الرأي العام ينقي نفسه بنفسه خاصة فيما يتعلق بالدين والإيمان، فإن مال جزء منه عن الحق انتفض الباقي لإصلاح هذا الميل وإعادة الأمور

إلى نصابها، فلما أغوى المختار بعضًا من ضعاف العقول والإيمان بكرسيه، تعالت الصيحات إنذارًا وتحذيرًا وتهديدًا حتى أُجبر على إخفائه والتراجع عنه.

الشعارات السياسية في العصر العباسي (مرحلة الدعوة السرية):

أولاً: الشعارات الرسمية:

في البدء وقبل أن يبدأ العباسيون في الإعلان عن أنفسهم والجهر بدعوتهم سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م ، كانوا يخوضون في السر معركتهم الحقيقية والتي استهدفت خلق رأي عام جديد بحيث يكون مناصرًا لهم ومؤمنًا بحقهم ومستبشرًا بدولتهم، خاصة في ظل انضواء العرب تحت اللواء الأموي، حتى إن دولتهم كانت توصف دائمًا بأنها دولة عربية أعرابية[١٠٤]. وقد أدرك المؤسس محمد بن علي بن عبدالله بن العباس[١٠٥] أن نجاحه في تحقيق هذا الهدف مرهونًا بنجاح شعاراته، فعكف على صياغتها بذكاءٍ ودهاءٍ نادرين، مكنته من تحقيق كافة أهدافه، فتحت بريقها أخفى حقيقته وحقيقة دعوته إلى حين يستطيع الجهر بها، وبذكائها موه على أعدائه وخدعهم. وبإحكامها استطاع سد الثغرات في تنظيماته وتعويض نقاط الضعف فيها، وبقوتها وعمق تأثيرها، استطاع أن يحشد الأنصار تحت لوائه من شتى البقاع عربًا وفرسًا، الأمر الذي كان يمثل قاعدة شعبية واسعة كانت هي حجر الأساس في قيام دولته، والعجيب أن كل هذا تم في ستر وخفاء، فقد كفته شعاراته مؤونة الظهور والجهر وما قد يكتنف ذلك من مخاطر مؤكدة كان لها أن تقضي عليه وعلى دعوته.

وتفصيلاً لما سبق نقول إن الدعوة العباسية بدأت في خضم خصوم لا يعرفون تهاونًا مع أعدائهم ولا تنازلاً عن مصالحهم وحقوقهم، كان في مقدمتهم العلويون ممن كانوا يرون أنهم الأحق بالخلافة من غيرهم، خاصة وأن العباسيين كانوا قد اعترفوا لهم بهذا الحق من أيام جدهم الأكبر العباس بن عبدالمطلب،

والذي كثيرًا ما دفع بعلي بن أبي طالب لطلب حقه في الخلافة لسبقه في الإسلام وفضله وعلمه، وكثيرًا ما عرض عليه أن يبايعه عقب وفاة النبي وسار الجيل الأول والثاني على نهجه، فلم يدع أحد منهم لنفسه في وجود علي وأبنائه الحسن والحسين، إيمانًا منهم بحقهم في الخلافة، فلما جاء محمد بن علي بن عبدالله العباسي مؤسسًا دعوته على المطالبة بالخلافة، كان لا بد له أن يبرر للناس أساس هذه الدعوة، وعلى الرغم مما ادعاه من قصة تنازل أبي هاشم بن الحنفية – وهو أحد أبناء علي بن أبي طالب من زوجة أخرى غير السيدة فاطمة الزهراء – عن حقه في الخلافة له[١٠٦]. إلا أنه كان يعلم بالرفض العلوي لهذه الروايات وأمثالها، بل ويستشعر شدة مقاومة أنصارهم لنيل حقهم والتضحية بأرواحهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فلا طاقة له بمواجهتهم والصمود أمامهم.

أما العدو الثاني، فهو الدولة الأموية التي لم تغمد سيوفها عن مواجهة أعدائها عبر زمانها، ولم يتورع رجالها عن إراقة دماء كل من ناصبها العداء، الأمر الذي كان يستوجب معه تجنب إثارة غضبها.

أما ثالث الخصوم فهم العرب، فعلى الرغم من أن الدعوة العباسية كانت عربية ومؤسسها عربي وتدعو لبيت من أشهر البيوت العربية، إلا أنه كان يدرك أن ولاء العرب وطاعتهم للأمويين، فلن يرضوا عنهم بديلاً، ولن يقبلوا لهم مصرفا[١٠٧]. الأمر الذي كان يستلزم إحاطة دعوته بسرية مطلقة وحذر شديد لتأمينها وتأمين نفسه وأهل بيته، وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات، إلا أن انفراجها كان على يد عدد من الشعارات الذكية التي تكفلت بنشر الدعوة وسد ثغراتها وتأمين أصحابها، ومنها:

- **الرضا من آل محمد ونصرة آل البيت**[١٠٨]:

لم يدع محمد بن علي بن عبد الله العباسي لنفسه أو لأحد من أهل بيته، ولكن رفع شعار "الرضا من آل محمد ونصرة آل البيت" وكان لهذا الشعار

جاذبيته ، وذكاؤه كان يكمن في غموضه وإبهامه، فحشد العلويين تحت لوائه، إذ اعتقدوا أنهم المقصودون بهذه الدعوة، باعتبارهم أنهم آل البيت وآل محمد أصحاب الحق التاريخي في الخلافة، والمشهود لهم بها في الآفاق، فكانوا هم أول من رفع هذا الشعار وسعوا في نشره ، وبذلك أتقى صاحب الدعوة غضبهم، ومؤجلاً الصدام معهم إلى حين يقوى على مجابهتهم، ومن ناحية أخرى استطاع بهذا الشعار أن يموه على الأمويين ويتقي خطرهم، وعلى الرغم من سعيهم الدؤوب في تتبع هذا الشعار، إلا أنه زادهم غموضًا حول المقصود به أشخاصًا وأهدافًا.

وفضلاً عن العلويين والأمويين كان لهذا الشعار اللفظي، بألفاظه القليلة وسهولة حفظه وتكراره وفهمه، وقعٌ عميقٌ وأثرٌ عظيمٌ في نفوس كل من يسمع به من المسلمين، فمن ذا الذي لا يسعى لنيل الرضا من آل البيت أو يتأخر عن مناصرتهم ؟ لقد كان وبحق شعارًا موفقًا استطاع بألفاظه حشد الناس تحت لوائه، وتمكن بعمق تأثيره من إثارة حماستهم.

- **شعار المساواة:**

مع تعصب العرب للدولة الأموية التي وصفت بأنها " دولة عربية أعرابية " وانصرافها عن الفرس مما أثار غضبهم عليها، وتحين الفرص المناسبة للتخلص من ربقتها[١٠٩]، هنا وجد محمد بن علي العباسي بغيته في الفرس، فرفع شعار المساواة. ذلك المبدأ الذي كانوا يفتقرون إليه، ويتطلعون للعيش تحت مظلته، معتمدًا في ذلك على حديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) "لا فرق بين عربي على عجمي إلا بالتقوى"[١١٠]، ومستهدفًا من هذا الشعار اللفظي حشدهم تحت لوائه، وتأليبهم على أعدائه، والتلويح لهم بتفهم آلامهم، والوعد بتحقيق أحلامهم، وتأمين حقوقهم في حياة كفلها لهم إسلامهم، كل هذه المعاني احتواها هذا الشعار الذي لم يزد عن كلمة واحدة.

أتى هذا الشعار بنتائجه المرجوة، فانتشر بينهم على أوسع نطاق، واحتضنت بلادهم (خراسان) الدعوة منذ بواكيرها، فكانت أرضها مقرًا لها، أما أهلها فكانوا لها دعاة وجندًا وحراسًا، بذلوا أرواحهم فداء لها، الأمر الذي دعا كثيرًا من المؤرخين إلى القول بإن الدولة العباسية كانت ثورة فارسية، قامت على أكتاف الفرس وبمساعدتهم.

- **الولاة الظلمة وأهل بيت اللعنة:**

استهدف محمد بن علي العباسي وخلفاؤه تشويه الدولة الأموية وتحريض الناس عليها وفض الأنصار من حولها، فاتهموهم بالخروج عن السوابق الإسلامية والقيم والتقاليد العربية وذَكَّروا الناس بتاريخهم منذ قبل إسلامهم، ولم يتورعوا في سبيل ذلك عن استخدام كتاب الله وآياته وتفسيرها بما يتفق مع أهدافهم، ويحقق أغراضهم، فأطلقوا عليهم شعارًا شاع على ألسنة الناس خاصة الفرس منهم وهو "الولاة الظلمة وأهل بيت اللعنة"(١١١).

استمر محمد بن علي العباسي يعمل على هذه الشعارات عشرين عامًا حتى وافته المنية فتولى أمر الدعوة من بعده ابنه الإمام إبراهيم والذي تحولت الدعوة في عهده من مرحلة السرية إلى مرحلة الجهر والعلانية سنة(١٢٩هـ/٧٤٦م) ، وكان من الطبيعي أن تظهر شعارات جديدة تتفق مع طبيعة هذه المرحلة وأهدافها، وكان على رأسها:

- **اللون الأسود (التسويد):**

كان من أشهر الشعارات اللونية التي انتشرت في الدولة الإسلامية عبر تاريخها هو السواد الذي اتخذه العباسيون شعارًا رسميًّا لهم، وقد أثار هذا اللون كثيرًا من التساؤلات بين المؤرخين؛ أهو رمز للحداد والحزن على شهداء آل البيت الذين قتلوا على يد الأمويين وعلى رأسهم الحسين بن علي وأهل بيته أجمعين ، وآخرهم الإمام إبراهيم الذي قتله الخليفة الأموي مروان بن محمد محبوسًا في

السجون الأموية؟ مع ما يثيره ذلك من تأليب الرأي العام ضدهم وتحريضهم عليهم، أم اتخذه العباسيون ليكون مناقضًا للون الأبيض شعار الأمويين ؟ أو تمييزًا عن اللون الأخضر شعار العلويين(١١٢). والراجح أنه لكل ما سبق، بل ويُضاف إليه ما كان لهذا اللون من دلالات في التراث العربي فهو يشير إلى الغموض والهيبة والقوة والصرامة وغيرها من معانٍ حرصت الدولة الجديدة على بثها بين رعاياها.

ظهر هذا اللون لأول مرة سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م عندما جهر القائد أبو مسلم الخراساني بالدعوة في خراسان فأوقد النيران، وكانت تلك العلامة المتفق عليها بينه وبين أنصاره، عندئذ توافد عليه عالم عظيم من الناس قدر في بعض الروايات بمائة ألف رجل، جاءوا إليه من كل حدب وصوب في خراسان وقد سودوا ثيابهم وأغطية رؤوسهم حزنًا على مصابهم في الإمام إبراهيم، فكان ذلك أول تسويد عند العباسيين(١١٣).

ومما يجدر ذكره في هذا السياق أن هذه الشعارات اللونية شهدت حروبًا وصراعات كثيرة؛ إذ انعكس عليها صراع العباسيين مع أعدائهم، وامتدت آثارها إلى حياة الناس، وتجلى ذلك بوضوح في عهد الخليفة المأمون العباسي عندما رأى أن يعهد بولاية عهده إلى أحد الطالبيين حسمًا للنزاع وحقنًا للدماء، فأمر رعاياه بطرح السواد ولبس الثياب الخضر، يقول ابن طيفور في كتابه تاريخ بغداد: "كان يجلس وعليه ثياب خضر، ولم يكن أحد يدخل عليه إلا في خضرة، ولبس ذلك أهل بغداد أجمعون، وكانوا يخرقون كل شيء رأوه من السواد على أحد، إلا القلانس فإن الواحد بعد الواحد كان يلبسها متخوفًا ووجلاً، فأما قباء أو علم فلم يكن أحد يجترئ على ذلك، أو يلبس شيئًا من ذلك ولا يحمله". الأمر الذي أثار استياء قطاع كبير من الرأي العام، وأصبح الخليفة في مرمى شباكهم محلاً للشتم والسب والتندر عليه، فأطلقوا عليه الخليفة المسحور والخليفة المجنون، وأمير

الكافرين، ونقضوا بيعته، وأمام معارضة الرأي العام وقوته رجع عن قراره وعزمه في تحويل الخلافة إلى العلويين، وأمر بخلع الخضرة ولبس السواد[١١٤].

وعلى صعيد آخر، دارت حروب كثيرة بين التسويد والتبييض، إذ حرص الأمويون وأنصارهم على طرح السواد، وإعلان التبييض في ألويتهم وأعلامهم وثيابهم لإثارة غيظ العباسيين وإعلانًا للحرب عليهم ومجاهدتهم، وعرفوا لذلك بالمبيضة[١١٥].

- **كافر كوباد وهر مروان (عصا الكافر ومروان الحمار):**

كان قيام الدولة العباسية في أحد جوانبها يمثل انتصارًا للفرس وبالفرس، وبالتالي فقد كانت لحظة إعلان قيامها على يد القائد الفارسي أبي مسلم الخراساني لحظة فارقة في تاريخهم، وكانوا قد استعدوا لاستغلال هذه الفرصة النادرة، وتجمعاتهم الحاشدة للانتقام من الأمويين، جراء ما عانوه من قهر وإذلال تحت حكمهم، فجاءوا للمبايعة والمباركة بأعدادهم الكبيرة وقد حملوا عصاوات خشبية وقد سودوا ألوانها، وأطلقوا عليها " كافر كوباد " أي مضرب الكفار أو عصا الكافر في إشارة واضحة لما سينالونه على أيديهم، ولندع أبي حنيفة الدينوري في أخباره الطوال يصف بقية هذا المشهد فيقول: " وأقبلوا فرسانًا وحمارة ورجالة، يسوقون حميرهم ويزجرونها (هر مروان) يسمونها مروان ترغيمًا لمروان بن محمد، وكانوا زهاء مائة ألف رجل " والمشهد بالغ الدلالة، وليس في حاجة إلى تعقيب، والمعلوم أن لقب الحمار ظل ملتصقًا بمروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية فلا يذكر في بعض المصادر الإسلامية إلا بمروان الحمار، وهكذا انتقم الفرس من الأمويين، وكانت شعاراتهم التهكمية وسيلتهم لذلك [١١٦].

- **محمد يا منصور:**

تزامن رفع هذا الشعار مع إعلان الدعوة العباسية والجهر بها وإشهار التسويد والعصا، وقد رفعه أيضًا أهل خراسان عند وفودهم لتقديم البيعة لأبي مسلم

الخراساني، ولعلهم كانوا يقصدون به محمد بن علي بن عبدالله بن العباس مؤسس الدعوة، وأول من قام بها وبث دعاته في البلاد[١١٧]. وربما كانوا يقصدون النبي محمد، (صلي الله عليه وسلم) الذي جاء بالإسلام ليبيد الظلم والظلام في إشارة منهم إلى أنهم على أثره مهتدون، وبه مقتدون، وبسنته وتعاليمه متبعون لنصرة الحق ورفع الظلم، وغالبًا قصدوا الجمع بين المعنيين، لا سيما وأن اسم محمد له وقعه الأثير في نفوس المسلمين.

- **الظل والسحاب:**

هما لواءان كان أحدهما على رمح طوله أربعة عشر ذراعًا، والثاني على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعًا كان الإمام إبراهيم قد بعث بهما إلى أبي مسلم الخراساني كشعارين للدعوة، والواقع أن قيمتهما إنما ترجع إلى اسميهما اللذين تم اختيارهما بذكاء شديد لعمق مدلولهما، أما عن تأويل كلمة الظل فقد قصدوا بها أن الأرض كما أنها لا تخلو من الظل أبدًا، فكذلك لا تخلو من خليفة عباسي أبد الدهر، وكما أن الظل هو ملجأ المستجير به من الهجير والنار، فكذلك الدولة العباسية ستكون واحة لكل المستجيرين بها، والمنضوين تحت لوائها، أما عن السحاب فكما أن السحاب يطبق على الأرض، فكذلك الدولة العباسية تطبق عليها، وكما أن السحاب يحمل البشرى بهطول الغيث وإحياء الأرض بعد موتها، وانتشار النضرة والخير في ربوعها ، كذلك بشر العباسيون أنصارهم في ظل انضوائهم تحت مظلتهم[١١٨].

وهكذا بدأت الدولة العباسية عهدها بشعارات وهتافات وألوان ورايات اُختيرت بعناية فائقة، وصيغت بإحكام، فنجحت في حشد الجماهير تحت لوائها، وبشرت باتساع سلطانها واستقرار رعيتها، فبدأوا يتطلعون إلى عهد جديد مفعمين بالأمل والرضا. ولا شك أن نجاح الدولة العباسية منذ قيامها، إنما كان ثمرة لسياساتها والتي لخصتها وعبرت عنها شعاراتها.

والخلاصة:

كانت الشعارات السياسية في الدولة العباسية هي شكل من أشكال الخطاب السياسي، حرص العباسيون على تنويعها ما بين شعارات لفظية ولونية ورمزية، استهدفوا من خلالها توجيه رسائل مطمئنة ومبشرة لرعاياهم وأنصارهم ومتضمنة برامجهم وتطلعاتهم للمستقبل واستطاعوا من خلالها تحقيق أهدافهم من ناحية حشد قطاع كبير من الرأي العام تحت لوائهم وتكوين قاعدة شعبية عريضة كانت الأساس لدولتهم، فضلاً عن التحريض على الدولة الأموية من ناحية أخرى، الأمر الذي كان كفيلاً بنجاحهم وفرض سيادتهم على العالم الإسلامي، مما كان يمثل تحولاً جذريًّا في تاريخ الدولة الإسلامية.

الدولة العباسية والرأي العام:

قامت الدولة العباسية، وقد توفر لرجالها خبرات واسعة ووعي كامل بخطورة الرأي العام وقوة تأثيره وكيفية التعامل معه والتودد إليه ونزع كل ما من شأنه أن يؤدي إلى سخطه أو إثارة غضبه باعتباره أنه يمثل صمام الأمن والأمان في جبهتها الداخلية والمعول الأساسي لحفظ السلام بين رعيتها، بل حجر الأساس في بقاء الدولة، تلك الحقيقة التي عبر عنها معاوية بن أبي سفيان من قبل، وأثبتت الأحداث صدقها للساسة والحكام من بعده، وهي "لا سلطان إلا برضا العامة"، "ولا خلافة إلا بطاعة الناس والولاية عليهم"(١١٩).

دعم الأدباء والمفكرون العباسيون هذه الفكرة، فتوالت ملاحظاتهم ونصائحهم التي كانت تحمل في طياتها تحذيرات مؤكدة – تصريحًا وتلميحًا – من خطورة الرأي العام وعدم الاستهانة به، فالجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) في رسالته المسماة " المعاش والمعاد " كتب يقول: " ليست للخاصة قوة العامة، ولا للعلية قوة على الأراذل، فقد قالت الأوائل فيهم وفي الاستعاذة بالله منهم، نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يُملكوا، وإذا تفرقوا لم يُعرفوا "، وقال واصل بن عطاء: " ما اجتمعوا

إلا ضروا ولا تفرقوا إلا نفعوا "، وقال شبيب بن شيبة: " قاربوا هذه الجماعات وباعدوها، وكونوا معها وفارقوها، واعلموا أن الغلبة لمن كانت معه، وأن المقهور من صارت عليه ". وقال آخر ملخصًا ما سبق: " يجتمعون من حيث يتفرقون، ويتفرقون من حيث يجتمعون، لا يفل عزمهم إذا صالوا، ولا تنفع الحيلة فيهم إذا هاجوا، والعوام إذا كانت نشزا فأمرها أيسر ومدة هيجها أقصر، فإن كان لها رئيس حاذق ومطاع مدبر وإمام مقلد، فعند ذلك ينقطع الطمع ويموت الحق ". وتنتهي هذا الآراء بتلك العبارة البليغة الموجزة والتي تقول: " إنما كما كنا نخافهم نرجوهم، وكما نشفق منهم نطمع فيهم "(١٢٠).

من خلال هذه النصوص، نستطيع أن نستشف أبرز سمات الرأي العام في الحقبة العباسية، كما رصدها المعاصرون على النحو التالي:

أولاً: تكرار هذه الصيحات التحذيرية إنما كانت ترجع إلى ما تميز به الرأي العام آنذاك من قوة وخطورة وعمق تأثير بسبب الكثرة العددية والكثافة السكانية الكبيرة فعلى الرغم من عدم توفر بيانات دقيقة عن أعداد السكان، إلا أنه يكفي ما قاله أحد جلساء الخليفة المأمون له "والله لو وجهت إنسانًا على عاتقه سواد، ومعه عصا لساق إليك بعصاه عشرين ألفًا من العوام"(١٢١). وعلى الرغم مما يكتنف النص من مبالغة إلا أنه يشير إلى كثرة أعداد الناس.

ثانيًا: هذه الكثرة العددية صاحبها تنوعٌ هائلٌ وتفاوتٌ كبيرٌ بينهم، سواء على المستوى العنصري فقد كانوا عربًا وفرسًا وتركًا، فضلاً عن عناصر أخرى كالروم واليونان والهنود وغيرهم. وكذلك على المستوى الطبقي؛ كان هناك الأغنياء والفقراء ومتوسطي الدخل، وكانت هذه الطبقات تضم فئات عديدة كالزراع والصناع والتجار والجند والموظفين على اختلاف أنواعهم، كذلك كان هناك العلماء والفقهاء والأدباء، فضلاً عن الطوائف الدنيا من الشطار والعيارين والمكدين واللصوص وغيرهم.

وعلى قدر هذا التفاوت العنصري والطبقي، كان تفاوتهم الثقافي والعقلي خاصة مع ارتفاع سقف الحريات الفكرية، ونشاط حركة الترجمة والاطلاع على الثقافات الأخرى، وما ماج به المجتمع من تيارات فكرية وثقافية ودينية ومذهبية غاية في التنوع فاقت الحد والوصف، كان لكل منها أتباعها وأنصارها(١٢٢).

كذلك شهد المجتمع أيضًا كثيرًا من الانقسامات السياسية والصراعات الفكرية، والحروب العنصرية، والتفاوتات الاقتصادية والطبقية، الأمر الذي أسفر عن احتجاجات اجتماعية وانتفاضات شعبية وثورات جماهيرية بسبب الظروف المعيشية، ومن هنا تباينت المصالح تباينًا شاسعًا، فهناك المؤيدون للدولة، وهناك المعارضون لها، هناك من يطرق الأبواب ويقدم فروض الولاء والطاعة للحكام أملاً في نوالهم، وهناك من يحملون السلاح ويشهرون الشعارات المعارضة سيوفًا في وجه السلطان والنظام.

هكذا تعددت اتجاهات الرأي العام إلى حد التضارب والافتقار إلى التناغم والانسجام، الأمر الذي ألقى بثقله على كاهل خلفاء الدولة العباسية الذين أبدوا فهما عميقًا ووعيًا في تعاملهم مع الرأي العام والتصدي لقضاياه خاصة في العصر العباسي الأول، فلم نسمع عن تضييق للحريات العامة أو ترهيب للمعارضين إلا في نطاقات محدودة خاصة إذا مثلت تهديدًا مباشرًا للدولة والنظام معًا، فيما عدا ذلك اتسعت حركات المعارضة ونقد سياسات الدولة، فلم يسلم الخلفاء ولا الوزراء ولا القضاة والولاة وسائر العمال من النقد اللاذع والسخرية الشديدة التي تجاوزت إلى حد مس ذواتهم والتشهير بعيوبهم وسلوكياتهم مما ذخرت به المصادر التراثية تاريخية وأدبية على السواء(١٢٣).

وعلى الرغم من ذلك ظل الخلفاء العباسيون الأوائل ملتزمين في مواجهة الرأي العام بسياسات محددة وعلى رأسها الإحسان إلى رعيتهم، وتعهد مصالحهم كسبًا لودهم وكسرًا لشوكتهم، وقد توارثوا هذه النصائح أبًا عن جد باعتبارها كما

قلنا الضمان لبقاء النظام ووحدة الجبهة الداخلية وسلامة أمن الدولة، ومن هذه الوصايا، ما وصى به المأمون عماله فقال: "عليك الرأفة فيمن استرعاك الله أمرهم من عباده، وألزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده فيهم، والذب عنهم والدفع عن حريمهم والحقن لدمائهم، والأمن لسبلهم وإدخال الراحة عليهم في معايشهم، ففرغ لذلك عقلك وفكرك فإنه رأس أمرك وملاك شأنك "(١٢٤).

كذلك كانت المدارة والتغافل وضبط النفس والتحكم في الغضب كلها وسائل لجأ إليها الخلفاء تجنبًا للصدام مع الرأي العام واحتوائه، ولعل أبرز مثال على ذلك ما ذكره ابن طيفور في كتابه " تاريخ بغداد " عن إبراهيم بن السندي صاحب خبر المأمون إذ قال: " وجدنا رقاعًا في طرقات بغداد فيها شتم للسلطان وكلام قبيح، وكرهت رفعها لما فيها، وكرهت أن أطوى ذكرها وأنا صاحب خبر فينقلها غيري فيلحقني ما أكره، فكتبت: إنا أصبنا يا أمير المؤمنين رقاعًا فيها كلام السفهاء والسفلة، وفيها تهديد ووعيد، وبعضها عندنا محفوظة إلى أن يأمر أمير المؤمنين فيها بأمره، فكتب إليَّ بخطه: هذا أمر إن أكبرناه كثر غمنا به، واتسع علينا خرقه، فمر أصحابك متى وجدوا من هذه الرقاع رقعة أن يمزقوها قبل أن ينظروا فيها، فإنهم إذا فعلوا ذلك لم ير لها أثر ولا عين، ففعلنا ذلك فكان الأمر كما قال "(١٢٥).

لم يدع العباسيون الأوائل حيلة ولا وسيلة إلا واستخدموها لاحتواء الجماهير وسل سخائم نفوسهم وتوضيح ما غمض عليهم من سياساتهم، فعندما علم المأمون بانتقاد رعيته لإسرافه في النفقة على بناء قصره حتى إن أحدهم مشى يومًا وقد رفع صوته قائلاً: واعمراه ذهب العدل منذ ذهبت، فاستدعاه الخليفة ليوضح له أن ذلك كان من باب إظهار عز الإسلام ومكايدة الأعداء(١٢٦). والأمثلة على ذلك كثيرة

وفي إطار سعيها الدؤوب لتشكيل الرأي العام وصياغته لصالحها، لم تغفل

الدولة العباسية عن دور العلماء والفقهاء والأدباء وغيرهم من قادة الفكر والدين، فكانت تحرص على دعوتهم بصفة دائمة لحضور مجالس الخلفاء فيفيضون في فنون الحديث والعلوم والآداب، ثم يطعمون من موائدهم وينالون جوائزهم، ويخرجون للناس يتكلمون بلسانهم ويعبرون عن وجهة نظرهم، ويفيضون في مدحهم، دعا المأمون يومًا أربعين رجلاً من وجوه الفقهاء وأعلام الأدباء وأهل العلم والفكر في بغداد وجلس لهم يتدارسون العلوم والفنون، فلما انقضى المجلس، قال: "إن هذا المجلس جعلناه للنظر في طوائف من الناس بتعديل أهوائهم وتزكية آرائهم وإني أرجو أن يكون سببًا لاجتماع هذه الطوائف على ما هو أرضى وأصلح للدين، إما شاك فيتبين ويثبت وينقاد طوعًا، وإما معاند فيرد بالعدل كرهًا"(١٢٧).

هكذا كانت سياسة العباسيين الأوائل في تشكيل الرأي العام وصياغته في محاولة منهم لخلق رأي عام متجانس ومتناغم يدين لهم بالولاء والطاعة، وإن كانوا قد نجحوا في كثير من الأحيان، إلا أنه في أحيان أخرى عجزوا عن السيطرة على الرأي العام، فظهرت انتفاضات شعبية وثورات جماهيرية ومنظمات وكيانات اجتماعية معارضة كانت الشعارات أبطالها والمتحدث الرسمي بلسانها، وفيما يلي بعض من هذه الشعارات الجماهيرية:

نماذج من الشعارات الجماهيرية الثورية في مواجهة السلطة العباسية:

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

واصلت الجماهير الشعبية التعبير عن رأيها في العصر العباسي فصاغت شعارات جمعت بين الطابع اللفظي والطابع الرمزي، وكان من أوسعها انتشارًا شعار "**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**" هذا الشعار الذي سيصبح علمًا لكثير من الكيانات السياسية والمنظمات الشعبية التي قادت حركات المعارضة السياسية والاجتماعية ضد العباسيين، والتعبير عن السخط العام على سياسات

الدولة بانعكاساتها السلبية على حياة الناس، وكان هذا الشعار كفيلاً بحشد الجماهير الغاضبة تحت لواء هذه المنظمات، الأمر الذي زاد من قوتها وخطورتها في المجتمع، ولم تستطع الدولة تجاهلها، بل سعت لاحتوائها سلما أحيانًا ومواجهتها عسكريًّا أحيانًا أخرى(١٢٨).

لعل قوة هذا الشعار وعمق تأثيره، يرجع إلى أنه كان يستند إلى المكون الديني والعقائدي عند المسلمين عامة وأهل العراق بصفة خاصة، حيث غلب الطابع الديني عليهم، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: " لو ضُرب أحدهم على أن يترك ركنًا من أركان الإسلام ما تركه، ولو أشرف على الهلاك "(١٢٩). هذا فضلاً عما قام به العلماء وأعلام الدين من دور عظيم في تهيئة الناس لوجوب تطبيق فريضة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " كفرض ديني من ناحية ، وكإلزام لحفظ وحماية مصالحهم من ناحية أخري (١٣٠).

بدأ ظهور هذه الجماعات الشعبية لأول مرة في أثناء الصراع بين الأمين والمأمون، وانشغال الدولة بصراعاتها، الأمر الذي انعكس على الجبهة الداخلية، فانعدم الأمن وتفشى المنكر، ولندع الطبري يصف ما ساد المجتمع من صور الفساد، فيقول في حوادث سنة ٢٠١هـ/ ٨١٦م: " إن الفساق والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ أذوا الناس أذى شديدًا، وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ النساء والغلمان علانية من الطرق، فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع، وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى ويأخذون ما قدروا عليه من مال ومتاع وغير ذلك، لا سلطان يمنعهم ولا يقدر على ذلك منهم، لأن السلطان كان يعتز بهم وكانوا بطانته فلا يقدر أن يمنعهم من فسق يرتكبونه، وكان الناس منهم في بلاء عظيم، ثم كان في آخر أمرهم، أنهم خرجوا إلى قطربل إحدى ضواحي بغداد، فانتهبوها علانية وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر

والحمير وغير ذلك. وأدخلوها بغداد، وجعلوا يبيعونها علانية، وجاء أهلها فاستعدوا السلطان عليهم، فلم يمكنه نصرهم، ولم يرد عليهم شيئًا مما كان أخذ منهم(١٣١).

وأمام هذا الضعف والتردي في أداء الدولة ، بل وتواطؤها مع هؤلاء اللصوص، اقتنع الناس بأنه لا بد من الاعتماد على أنفسهم لحماية مصالحهم وبدأت تظهر منظمات شعبية رفعت شعار " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " كان منها:

- **جماعة خالد الدريوش (المدريوش):**

ظهر خالد الدريوش أو المدريوش سنة (٢٠١هـ/٨١٦م)، رفع شعاره، فحشد جيرانه وأهل محلته وما حولها للتعاون معه على نشر الأمن والأمان ومدافعة أهل الشر والفساد، وانطلقوا في تتبعهم، وقد تملكتهم الحماسة والاندفاع لمواجهة السلطة نفسها والاصطدام بها، ولما وجدوا في زعيمهم عدم الترحيب بهذا التصعيد إذ قال مصرحا بذلك : " أنا لا أعيب على السلطان شيئًا، ولا أقاتله " انفضوا من حوله ، وانضموا إلى منظمة سهل بن سلامة الأنصاري(١٣٢).

- **منظمة سهل بن سلامة الأنصاري (٢٠١-٢٠٣هـ/٨١٦-٨١٨م):**

كان أكثر حماسة واندفاعًا من سابقه، فكان يرى وجوب الخروج على الدولة، ونادى: " أقاتل كل من خالف الكتاب والسُنَّة ، سلطانًا وغيره، فمن بايعني على ذلك قبلته ومن خالفني قاتلته "، ورفع مع شعاره الرئيسي وهو " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " شعارًا آخر وهو " العمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله " وعلق في عنقه مصحفًا ورفع سلاحًا، وجعلهما رمزًا لمنظمته، وأمر اتباعه بان يبنوا على ابواب دورهم ومداخل حاراتهم أبراجا وينصبون عليها السلاح والمصاحف، فبايعه على ذلك خلق كثير(١٣٣).

ولنتوقف قليلاً أمام هذا الشعار الذي تجلى فيه مدى ما وصل إليه الرأي

العام من نضج سياسي ووعي بقوته وعمق تأثيره، وقدرته على انتزاع حقوقه بالقوة، أما عن المصحف ودلالاته في هذا الشعار فهو رمز لدستور الإسلام، أما السيف فهو في العقل الجمعي رمزٌ للقوة والتضحية والحرب والجهاد والنصر، وهم بهذا الشعار حددوا العلاقة بينهم وبين الحكام، إما تطبيق شرع الله خاصة فيما يخص حقوقهم التي كفلها الله لهم في المصاحف، وأما الحرب والقتال، وأكسبوا بذلك معركتهم مع الدولة طابع الجهاد الديني، وتطبيق أحكام الله بالقوة، الأمر الذي كان من شأنه أن يثير حماستهم الدينية وما يعقبها من حشد واستقطاب للرأي العام.

وتحت هذا الشعار الذكي "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وبالمصاحف في أعناقهم والسيوف في أيديهم انطلقوا في الشوارع والأسواق ينشرون الأمن ويتصيدون الفساق واللصوص، ويمنعون الغش والمعاملات الفاسدة ويشرفون علي الأسواق ويراقبون عمليات البيع والشراء، واصطدموا مع ولاة بغداد، فأنكروا عليهم تقصيرهم في أداء أعمالهم ، وكانوا لا يلقبونهم إلا بـ " الفساق " ووصل صدامهم مع السلطة إلى حد امتناعهم عن مبايعة المأمون.

وعبثًا حاولت السلطة العباسية تفكيك هذه المنظمة بمحاولة اغتيال زعيمها تارة، وبرشوة رجاله وتوزيع الأموال عليهم لينفضوا من حوله تارة أخرى، حتى تمكنت من القبض عليه وحبسه، فلما قدم المأمون بغداد، رفق به وأمن أتباعه الذين بدأوا يشعرون بأنهم على مشارف عهد جديد، فدانوا له بالولاء ولبسوا السواد وأخذوا الأرزاق(١٣٤).

من هنا أصبح شعار " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " مثيرًا لمخاوف السلطة العباسية، وذلك لارتباطه في العقل الجمعي بالاحتجاج على الدولة والخروج عليها، وما يمثله ذلك من تهديد لها، لذلك فقد حظرت على الناشطين من دعاة الإصلاح رفعه والدعوة إليه، وكانت تتعقبهم وتتابع نشاطهم للحد من استقطاب الناس إليهم والتفاف الأمة حولهم(١٣٥).

- **جماعة أحمد بن نصر الخزاعي (٢٣١هـ/٨٤٥م):**

ظل شعار "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" هو سلاح الجماهير الشعبية في مواجهة قهر السلطة وتجبر النظام، وقد ظهر هذا الشعار مرة أخرى وبصورة جلية عقب فتنة خلق القرآن، والتي كانت محنة حقيقية عانى المجتمع من ويلاتها، وذخرت المصادر التاريخية بذكر تفاصيلها مما لا داعي لتكراره، وفي ظل هذه الظروف بعث هذا الشعار من جديد للتصدي لتدخل الدولة في أمور الدين والعقيدة، وقاد هذه الموجة من الغضب الشعبي العالم أحمد بن نصر الخزاعي وكان كما وُصف مشهورًا بالخير، أمارًا بالمعروف، قوالاً للحق، وما أن رفع الشعار المعتاد حتى أتاه الناس من كل حدب وصوب، يقول الخطيب البغدادي: "وبايعه خلق عظيم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن ملكوا بغداد". وقد أغرتهم كثرتهم بالتخطيط لإعلان الثورة في البلاد، ولكن سرعان ما فشل هذا المخطط، واقتيد أحمد بن نصر مكبلاً بالأغلال إلى الخليفة الواثق الذي أمر بقتله وصلبه والتمثيل بجثته في صورة من صور العنف المبالغ فيه والذي يكشف عن مدى غيظ الدولة، وخوفها من خطورة هذا الشعار المهدد لأمنها، ومستهدفة من ذلك تخويف وترويع كل من تسول له نفسه برفع هذا الشعار في وجه الدولة من جديد(١٣٦).

في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي اتخذ هذا الشعار منحى جديدًا على يد جماعة الحنابلة الذين استطاعوا به استقطاب الجماهير تحت لوائهم حتى قيل: "إنهم كانوا لا يحصون كثرة في بغداد "، فتصدوا لمهمة إصلاح المجتمع والدفاع عن مصالحه ، ومحاربة كل صور الفساد وإزالة المنكرات، ولكن مع ما اتسم به نشاطهم من تشدد وتعصب الأمر الذي اتخذته الدولة ذريعة لمحاربتهم وتصفية زعمائهم(١٣٧).

وهكذا ظل شعار " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " محورًا لكثير من

صور الاحتجاج الشعبي والمقاومة الجماهيرية للدفاع عن مصالحهم ضد قهر السلطة ومظالم المجتمع، وكان مبعثه من القرآن والسُنَّة سببًا في صموده واستمرار قوته.

نماذج من الشعارات الجماهيرية السلمية ضد الدولة العباسية:

كما أجادت الجماهير الشعبية في صياغة شعاراتها الثورية ضد الدولة العباسية على نحو ما رأينا، فقد برعت كذلك في إطلاق شعارات مناوئة لها ومعادية، ولكنها اتخذت الطابع السلمي، استهدفت من خلالها نقد سياسات الدولة وإحراج مركزها وإثارة غيظها، فضلاً عن التنفيس عن مشاعرهم وسخطهم، ولعل التوسع في استخدام مثل هذه الشعارات إنما كان يرجع إلى حرصهم على عدم المواجهة والصدام معها لما كبدهم ذلك من خسائر فادحة، ووجدوا في الشعارات السلمية بديلاً آمنًا، خاصة وقد صيغت بعفوية وتلقائية، فلم تملك الدولة حيالها سوى غض الطرف والتجاوز عنها في أغلب الأحوال، وكان من أهم وأشهر هذه الشعارات:

- **رحم الله معاوية:**

على الرغم من وفاة معاوية سنة ٦٠هـ/٦٨٠م، إلا أن ذكراه ظلت تحتل مكانة كبيرة في العقل الجمعي وفي ذاكرة الناس، وتُدُووِل اسمه كثيرًا على مسرح الأحداث السياسية وبين الجماهير الشعبية في العصر العباسي، وكان شعارهم " رحم الله معاوية" من أروج الشعارات الشعبية وأوسعها انتشارًا خاصة وأنه كان بسيطًا وسهل الفهم والحفظ والتكرار ومستقى من التراث الديني الإسلامي بمشروعية الترحم على موتى المسلمين.

أما عن هذا الشعار، فقد رفعه أول الأمر خصوم العباسيين من عرب الشام ودمشق وغيرهم من أنصار الأمويين وممن عز عليهم سقوط دولتهم، وتتكيل العباسيين بالخلفاء الأمويين والأمراء منهم أحياءً وأمواتًا، ولم ينسوا ما نعموا في

ظلهم من عز ومنعة ومكانة، لذلك فقد حملوا لواء المعارضة ضد العباسيين وطرحوا السواد شعارهم، وأظهروا التبييض شعار الأمويين فعرفوا بالمبيضة، وقاموا بثورات عديدة كان مآلها القمع والقضاء عليها عسكريًّا. مما دفعهم لتغيير أسلوبهم فتجنبوا المواجهات العسكرية، ولجأوا إلى أساليب أخرى غلب عليها طابع العفوية والتلقائية، ووجدوا في الشعارات بغيتهم، وكان على رأسها " رحم الله معاوية "، وشعار آخر لا يقل عنه خطورة وهو " عودة السفياني المنتظر" هذا الشعار الذي تحول عندهم إلى عقيدة تبشر بقرب زوال الدولة العباسية، وعودة الحكم الأموي الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جورًا وظلمًا(١٣٨).

استشرت خطورة هذه الشعارات بانتقالها من بلاد الشام إلى أرض العراق عامة وبغداد عاصمة الدولة خاصة، فانتشر الترحم على معاوية، وكان القصاص والوعاظ يجلسون كل يوم في المساجد والطرقات يقصون على الناس سيرة معاوية ومآثره وفضائل قومه، فترتفع أصواتهم بالترحم عليهم، وأصبح من مألوف عادة السقائين أن يسقوا الناس الماء البارد المذاب فيه فاخر السويق والسكر، ويقولون: اشرب في حب معاوية، و" رحم الله معاوية "(١٣٩).

أما عن موقف الخلافة العباسية، فعلى الرغم من حرص كثير من الخلفاء علي تجاهل هذه الشعارات وفقًا لما يقتضيه الذكاء السياسي وحتمية التغافل والتجاوز عن ذلك ما استطاعوا إليه سبيلا تجنبًا للصدام مع الرأي العام وسعيًا لتهدئته، إلا أن هذه الشعارات فرضت نفسها على الواقع السياسي وعلى نفسية الخلفاء أنفسهم وعلاقاتهم برعيتهم، واختلفت ردود أفعالهم ما بين ضبط النفس كما حدث مع المأمون الذي اكتفى بالتنديد بها فقال: " أما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني، وغاية حلمها أن تنتظر السفياني وخروجه "، وبين المواجهة والصدام كما حدث مع الخليفة المعتضد بالله الذي فوجئ بانتشار هذا الشعار إلى حد إثارة غضبه فاضطر لاتخاذ إجراءات استثنائية لاقتلاعه.

في سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م أمر المعتضد عامة الناس بلزوم أعمالهم، وترك الاجتماعات، ومنع الوعاظ و القصاص من الجلوس في الأسواق و الطرقات والجوامع، ومنع أهل الحلق والفتيا من القعود في مسجدي المنصور والرصافة، ومنع الباعة من القعود في رحابهما، ونودي تكرارًا في المسجد الجامع بنهي الناس عما سبق مهددًا ومحذرًا بالضرب والعقاب لمن يخالف ويعصي، وتقدم إلى السقائين الذين يسقون الناس ألا يترحموا على معاوية ولا يذكرونه بخير(١٤٠).

كان ذلك تمهيدًا لمزيد من التصعيد، عندما تقدم بإنشاء كتاب ضمنه لعن معاوية والقدح فيه، وهو كتاب طويل أورده الطبري في تاريخه، ولعل أهميته ترجع إلى أنه يلقي الضوء على ما أثاره هذا الشعار من مشاعر الغيظ والغضب عند الخليفة دفعه للخروج عن سالف عهدهم في مداراة رعيتهم إلى حد تهديدهم بوضع السيف فيهم، وكان مما جاء في هذا الكتاب: " انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة ممن شبهة دخلت في أديانهم، وقد لحقتهم في معتقدهم، وعصبية قد غلبت عليهم في أهوائهم ونطقت بها ألسنتهم من غير معرفة ولا روية، وقلدوا فيها قادة الضلال بلا بينة ولا بصيرة، وخالفوا السُّنن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة ... وخروجًا على الجماعة ومسارعة إلى الفتنة، وإيثارًا للفرقة وتشتيتًا للكلمة، وإظهارًا لموالاة من بتر الله منه العصمة، وأخرجه من الملة، وأوجب عليه اللعنة، وصغر حقه، وأوهن أمره وأضعف ركنه من بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن ... فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه في ذلك، ورأى في ترك انكاره حرجًا عليه في الدين، واهمالاً لما أوجبه الله عليه في تقويم المخالفين " وأنهى كتابه بدعوة الناس إلى لعن معاوية وقومه والتبرؤ منهم.

وأمام هذا الغضب الذي أعماه عن التبصر بالعواقب اضطر وزيره عبيدالله بن سليمان أن يستعين بالقاضي يوسف بن يعقوب وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه من قراءة هذا الخطاب على الناس، وخوفه من ثورتهم عليه

إذا ما سمعوه فقال: "إني أخاف أن تضطرب العامة وتكون فتنة "، فرد عليه المعتضد: إن تحركت العامة وضعت سيفي فيها " ولم يبرح القاضي محاولاً تهدئته حتى تراجع عن عزمه.

هذا في الوقت الذي كان الناس في حالة استنفار واستعداد للتحرك ضد الدولة عقب تسرب أنباء هذا الكتاب إلى مسامعهم، يقول الطبري: " وتحدث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه للعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنابر، فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ "[١٤١]. فكان ذلك انتصارًا للرأي العام وللإرادة الشعبية بشعاراتها الجماهيرية على الدولة، والتي أثبتت أنها كانت وبحق سلاح المغلوبين في مواجهة قهر الحكام.

وعلى صعيد آخر، كان شعار " **الترحم على معاوية** " سلاح السُّنة في مواجهة التشيع الذي فشا بين الناس في العراق وغيره من البلدان الإسلامية[١٤٢]، فكثرت أعدادهم وتعاظمت قوتهم وجاهروا بمراسم احتفالاتهم ومواكب زيارتهم إلى مراقد الأئمة ومزاراتهم، ملتفين حول شعارهم الأشهر "**يا لثأرات الحسين**" الأمر الذي كان يثير غضب الأغلبية من أهل السُّنّة، فكان ردهم بنفس سلاحهم ورفعوا شعارات مضادة على رأسها " رحم الله معاوية "، و"معاوية خال المؤمنين "، و"معاوية خال علي " في إشارة منهم لتاريخ الصراع بين علي ومعاوية ، فكانت هذه الشعارات أنكى عليهم وأشد وطأة ، حتى قيل من أراد الشهادة فليذهب إلى دار البطيخ بالكوفة، وليقل رحم الله معاوية "[١٤٣].

هكذا استخدمت الطوائف الدينية والمذهبية شعاراتها للتعبير عن نفسها وتوجهاتها، واستدراج الرأي العام لصالحها واستقطابه تحت لوائها، وقد غلب على الشيعة شعارات المظلومية التي تخاطب المشاعر وتثير العواطف والانفعالات، في حين غلب على السُّنة شعارات الغلبة عليهم والنكاية فيهم لإثارة غيظهم، الأمر الذي عمق من حدة الخلاف واحتدام الصدام بينهما.

ثالثاً: نماذج من شعارات الأقليات السياسية والدينية (القرامطة نموذجاً):

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾.

يُعد هذا الشعار من أخطر الشعارات السياسية المناوئة للدولة العباسية على الإطلاق، ذلك لأنه استطاع أن ينال من الخلافة العباسية ، هزمها سياسيًّا، وكبدها خسائر فادحة عسكريًا، واضعف هيبتها و مكانتها أمام رعيتها، كما فضح خيانة بعض رجالها؛ وزراء وقادة، وتواطئهم مع الأعداء لحماية مصالحهم بلا دين يردعهم ولا نخوة تزجرهم، وشمت فيها أعداءها وأعداء الدين من الروم البيزنطيين[١٤٤]. والأعجب من ذلك أن هذا الشعار الديني والمستمد من كتاب الله أصاب عقيدة الأمة ودينها فكان ذلك نذيرًا بقرب زوال الدولة وأفول مجدها، ولا غرو في ذلك فقد علق الطبري على تداعيات هذا الشعار وكان معاصرًا وشاهد عيان على زمانه، فقال: " الزمان مدبر والدولة مولية "[١٤٥].

هذا الشعار هو شعار القرامطة (٢٨١-٣٧٨هـ/٨٩٤-٩٨٨م) ،أخطر تنظيم إرهابي شهدته البلاد، وهم بإيجاز جماعة اتخذت من التشيع مذهبًا لها – هكذا ادعوا – ولكن كان هذا التشيع ستارًا يخفون وراءه حقيقة كفرهم وإلحادهم ودعوتهم لدين جديد، مستهدفين هدم الدولة والدين. إذ خرجوا على العالم الإسلامي بأكمله في العراق والشام ومصر وبلاد الحجاز ومدن الخليج فلم يسلم منهم أحد، وملأوا صفحات تاريخهم سلبًا ونهبًا وقتلاً وتشريدًا وفسادًا وإبادة، حتى بيت الله الحرام والكعبة وبئر زمزم والحجر الأسود لم يسلموا منهم بل كانوا شهودًا على إفسادهم، وقد ذخرت المصادر التاريخية بوصف وحشيتهم وما نشروه بين الناس من مشاعر الرعب والفزع، لخصها المقريزي بقوله: " حصل مصاب عظيم، فلا دار إلا وفيها مصيبة وعويل "[١٤٦].

هذا التنظيم كان محور قوته هو قدرته على حشد الجماهير تحت لوائه، مستغلاً في ذلك حالة الغضب والسخط المتفاقمة في نفوسهم على الدولة والمجتمع معًا، حيث تجمعت عوامل الفساد السياسي والإداري وشيوع الرشوة والمحسوبية وبيع الوظائف، ونهب الكبار للأموال واحتكارهم للأقوات وتحكمهم في مقدرات البلاد، فازدادوا ثراءً على حساب الفقراء، في الوقت الذي أبدت فيه الدولة عجزًا مهينًا عن وضع الأمور في نصابها، مما أدى إلى تفاقم الغضب الشعبي، يقول ابن كثير: " ضعفت الخلافة ، ولم يبق للخليفة أمر ولا نهي "(١٤٧).

كانت نقطة البدء لانطلاق هذا التنظيم هو حشد هذه الجماهير الساخطة في صفوفهم إذ كانت تمثل مركز قوتهم ومناط خطرهم، وكانت وسيلتهم لتحقيق ذلك شعارهم الذي صاغوه بعناية فائقة فكان من أذكى الشعارات السياسية وأكثرها فاعلية وأعمقها أثرًا، وكان عبارة عن علم أبيض كبير مخالفة لسواد العباسيين، وقد خطت عليه الآية الشريفة ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾(١٤٨). وستقف الدراسة على هذا الشعار لتحليله ودراسة آثاره ودلالاته من خلال النقاط التالية:

أولاً: هذا الشعار من الشعارات النصية أو اللفظية، وهو عبارة عن (الآية الخامسة من سورة القصص) وتتميز بقلة ألفاظها وسهولة حفظها وتكرارها وفهمها وإدراك مقصودها خاصة بالنسبة للعوام ومستوى وعيهم وثقافاتهم.

ثانيًا: هذا الشعار محوره الأساسي، وموضوعه الرئيسي هم "المستضعفون" أي المهمشون المقهورون بقهر السلطة، والمسلوب منهم مقدراتهم، والعاجزون عن انتزاع حقهم في الحياة المنعمة، والمحاطون بكل صنوف الظلم الاجتماعي، ولكن سرعان ما وجد هؤلاء المستضعفون أنفسهم في هذا الشعار محورًا للاهتمام، ومركزًا مسلطًا عليه الأضواء بعد عهود طويلة من اللامبالاة والتهميش من قبل المجتمع والدولة معًا، فهم المعنيون بالخطاب دون غيرهم، هكذا خاطب القرامطة

الناس، فأعارهم الناس آذانهم ومن ثم قلوبهم وعقولهم.

ثالثًا: احتوى هذا الشعار على هدف التنظيم وبرنامج عمله على حد سواء، وذلك وفقًا لما يقتضيه علم صياغة الشعارات في وقتنا الراهن، أما عن الهدف فهو التبشير للمستضعفين بتحويل أحوالهم وتغيير مراكز القوة في مجتمعهم، وفتح باب الأمل أمامهم ليصبحوا هم أهل التمكين في الأرض، وهم في ذلك سعوا لتسويق الأمل وتغذية الرجاء عند المهمشين والبؤساء ضحايا عجز الدولة وفساد النظام، هذا فضلاً عما يحتويه هذا الشعار ضمنيًّا من تهديد لأصحاب القوة من ذوي السلطان والمال بزوال جاههم، وما في ذلك من إشباع لغريزة التشفي والانتقام عند المقهورين، فكان ذلك كفيلًا بانضوائهم تحت هذا الشعار وحشدهم في صفوف التنظيم، وهذا يفسر نوعية هؤلاء المحتشدين إذ كانوا يمثلون فقراء القرى والمدن والفلاحين والأجراء والأعراب سكان البوادي، فضلاً عن شباب المدينة الثائر. يقول المقريزي في هذا الصدد: " كان أول من أجابهم قوم ضعفاء وفقراء ما بين قصاب وحمال وأمثال ذلك "[١٤٩]، كما أجابهم أكثر أهل البوادي"[١٥٠].

ولإضفاء المزيد من الثقة والمصداقية، جعلوا من هذا الشعار مجالاً للتطبيق، ودليلاً على خطة العمل، فقدموا للناس برنامجًا شاملاً للإصلاح، كانت الاشتراكية عنوانه، والعدالة الاجتماعية مضمونه، وفصل بعض المؤرخين خطواتهم لصنع هذا المجتمع الاشتراكي حيث كان الناس فيه سواء لا يتميز أحد منهم علي الآخر في مال يحوزه أو ملك يملكه، فكانت تجمع أموالهم ، وتودع عند مختار من ثقاة دعاتهم، فيكسوا عاريهم وينفق على سائرهم ما يكفيهم، وأصبح غاية الرجل منهم الإجادة في عمله والإبداع في صناعته ليكون له الفضل في رتبته، فكان ذلك معيار التفاضل بين الناس، حتى المرأة كانت لها مشاركتها إذ كانت تقدم كسبها من مغزلها، والصبية يجمعون أجرة نظارتهم للطير في الحقول ويأتون بها إليه ، فلم يكن أحد منهم يملك إلا سيفه وسلاحه[١٥١].

توسع القرامطة في تسويق الأمل لأنصارهم الفقراء و المستضعفين، فرددوا على مسامعهم "لا حاجة بكم إلى متاع أو أموال تكون معكم، لأن الأرض كلها ستكون ملكا لكم دون غيركم ." . وكان زعماؤهم يخرجون بهم إلى أمهات المدن ومعهم خرائط محدد فيها ضياع وبساتين و قصور الخلفاء والأمراء والوزراء وعلية القوم من أصحاب الأموال والضياع، فيقسمونها عليهم ، وزعيمهم أبو سعيد القرمطي يقسم لهم باغلظ الايمان بأنه سيدخل بهم إليها ويملكهم عليها. ولم يكن الناس في حاجة إلى أكثر من ذلك فاحتشدوا تحت شعارهم، ودخل في مذهبهم خلق كثير، فاشتدت شوكتهم، وتفاخر أحد زعمائهم يومًا فقال: إن ورائي مائة ألف ضارب بالسيف[١٥٢]، فضلاً عمن دخل تحت شعاره من النساء والصبية وكبار السن ممن لا يقدرون على حمل السلاح والضرب بالسيف.

رابعًا: كان هذا الشعار خير دعاية لهذا التنظيم الإرهابي، وأعظم ستار ستروا به حقيقته، وأبلغ رد على الدعاية العباسية وجهازها الإعلامي الذي فضح فكر القرامطة وحكم بتكفيرهم. وأنهم جاءوا بدين جديد أباحوا فيه المحارم وعطلوا الشرائع[١٥٣]. وهي تهم بالغ القرامطة في إنكارها والتنكيل بكل من ادعاها عليهم، وكانوا دائمًا يعلنون "نحن قوم مسلمون، وما نحل من اتهمنا بغير الإسلام"[١٥٤]. ولم يكن هناك مثل شعارهم المنبثق من القرآن الكريم لتأكيد ما ادعوه من إسلامهم والتمويه على أنصارهم وستر حقيقتهم والرد على أعدائهم، ولعل تأكيدهم على الطابع الإسلامي لحركتهم ظهر أيضًا في دنانيرهم التي كتبوا على أحد وجهيها: "وقل جاء الحق وزهق الباطل"، وعلى الوجه الآخر "لا إله إلا الله، قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى" كما تلقب زعماؤهم بلقب " أمير المؤمنين " على غرار خلفاء الدولة الإسلامية[١٥٥].

خامسًا: تحت هذا الشعار البراق لم يكتف القرامطة بدفع تهمة الكفر عنهم فحسب ، بل موهوا على شباب المسلمين، فقدموا إليهم أنفسهم على أنهم حماة

الدين، وحراس العقيدة، هم أهل الإيمان الحق وغيرهم هم الكفرة، ومن هنا جاء تكفيرهم للدولة والمجتمع معًا، واتخذوا من" **جهاد أعداء الله الكفرة** "، شعارًا آخر لهم، ومبررًا لقتال الخليفة وأنصاره، قال زعيمهم أبو طاهر القرمطي: " أنا لا أُؤمن السلطان وبطانته لأنهم يشربون الخمر ويلبسون الحرير " ، ونددد بالخلفاء المحجوبين عن رعيتهم ويظلمون الأيتام ويشربون الخمر ويسمعون القيان ، وتصدت أبواق دعايتهم لبث أخبار " أعداء الله الكفرة " وما ارتكبوه في البلاد من الفساد [١٥٦].

سادسًا: بلغت هذه الشعارات المخادعة ذروة أهدافها بإثارة حفائظ الشباب من أنصارهم وغضبهم، وتهيئتهم فكريًّا ونفسيًّا للانقضاض على الدولة الكافرة والمجتمع الكافر – بزعمهم – والاعتداء على الحرمات، ووصل بهم الحال إلى أن كفروا أباءهم وأمهاتهم وأسرهم وناصبوهم العداء، ويحكي الطبري عن تلك المرأة التي لحقت بابنها لتعيده إليها بعد أن علمت بانضمامه إليهم، فكان أول ما سألها عن دينها " قال لها: أخبريني ما دينك؟ فقالت: كيف تسألني عن ديني وأنت تعرفني وتعرف ديني. فقال: كل ما كنا فيه باطل والدين ما نحن فيه الآن"[١٥٧].

وهكذا بدأ الأمر بالدين وانتهى به، رفعوا شعاره، والتحفوا بآياته، واستتروا بقدسيته وتحت بيارقه انسلخوا منه، وانتهى بهم الأمر إلى الكفر والتكفير، إنها الشعارات الذكية المنتقاة بعناية فائقة، والمصاغة بإحكام تام، والمدركة لطبيعة ونفسية الجماهير الموجة إليهم بآمالهم وآلامهم فاستقطبت قطاعات كبيرة من الرأي العام، مما مكنها من إحداث هذا الأثر العميق في تاريخ الدولة والمجتمع العباسي.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة موضوع الشعارات السياسية وأثرها في التحولات الجذرية للدولة الإسلامية خلال القرون الثلاثة الأولي للهجرة، دراسة في نشأة الرأي العام الإسلامي وتأثيره.

نشأ الرأي العام الإسلامي منذ قيام الدولة العربية الإسلامية في عهد النبيﷺ من معين القرآن الكريم وتعاليم الشريعة التي أقرت عدة مبادئ في مقدمتها، مبدأ الشورى بهدف خلق رأي عام متناغم ومنسجم، فضلاً عن مبدأ سيادة الأمة وشمول صلاحياتها وحرية إرادتها، وعموم حقوقها، وفي مقدمتها حق المشاركة السياسية للجماهير الشعبية متضمنة في ذلك حق اختيار الخلفاء ومراقبة سياساتهم، وكانت كل هذه الحقوق تمارس تحت مسميات إسلامية منها " الشورى "، و"الإجماع"، و"رضا العامة"، و"رأي الجماعة"، و"رأي الأمة" وهم في ذلك سجلوا حق الريادة وقصب السبق عن غيرهم من أصحاب النظم الحديثة.

شهدت الساحة السياسية نموًا مطردًا في قوة الرأي العام الإسلامي، فكان وبحق محركًا أساسيًا لكثير من أحداث التاريخ خاصة في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية والتي شهدت أحداثًا جسامًا لا يمكن فهمها إلا في ضوء دراسة وفهم الرأي العام المحرك الرئيسي لها.

أدرك المسلمون الأوائل – حكامٌ ومحكومون – قوة الرأي العام وعمق تأثيره، فاستخدمه الحكام كوسيلة لحشد الجماهير تحت لوائهم واستقطاب مودتهم، وما الصراعات السياسية التي شهدتها الدولة الإسلامية في فترة الدراسة في قسمها الأكبر سوى صراع الحكام لكسب الرأي العام وتسخيره لما يحقق أهدافهم، وكان الأبرع في التأثير على الرأي العام هو الأنجح في الوصول لمقصده، أما

المحكومون فقد استخدموه كأداة ضغط على الحكومات للدفاع عن مصالحهم وللتعبير عن مظالمهم.

واكب الاهتمام بالرأي العام التوسع في استخدام الشعارات السياسية، كشكل من أشكال الخطاب السياسي من ناحية، وكآلية من آليات تشكيل الرأي العام والتأثير فيه وصياغته من ناحية أخرى، فارتبطت الأحداث الكبرى في الدولة الإسلامية بعدد من الشعارات السياسية التي صيغت بعناية فائقة وعلى أسس مدروسة – وضحها البحث بالتفصيل – تمكنت من حشد الرأي العام تحت لوائها، مما مكنها من إحداث تغييرات جذرية في الدولة الإسلامية.

وفي هذا السياق ظهرت شعارات متنوعة، كان منها الشعارات اللفظية واللونية والرمزية، ومنها شعارات عملت على إثارة العواطف، وأخرى جنحت نحو العقل والمنطق، وفضلاً عن الشعارات الرسمية للدول الإسلامية المتعاقبة خلال فترة الدراسة، فلم يغفل البحث أيضًا عن الشعارات الشعبية والتي رفعتها الجماهير في مواجهة قهر الحكام وظلم الأنظمة سواء في انتفاضاتها الثورية، أو في مقاومتها السلمية، كما ضمت الدراسة نماذج من شعارات الأقليات الدينية والفكرية، موضحة في ذلك كله أسباب النجاح وعوامل الفشل.

والملاحظ أن هذه الشعارات صيغت في أطر وأنماط فكرية متنوعة مثل إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بالثأر وطلب القصاص، والرضا من آل البيت، ونصرة آل محمد، والمساواة بين الناس، والتنديد بالظلم الاجتماعي، والتبشير بالعدالة الاجتماعية وغيرها من موضوعات مختلفة، ولكنها كانت ذات أبعاد سياسية، ومصبوغة بالصبغة الدينية، ما جعلها كفيلة بإثارة حماسة الناس والتأثير فيهم بما يحقق الأهداف المنوطة بها.

وأخيرًا فإن أهمية دراسة هذه الشعارات السياسية، إنما كانت تكمن في أنها

نبعت من الأحداث التاريخية، فكانت مرآة صادقة لها وللمشاركين فيها وللعصر الذي ظهرت فيه، وتجلى من خلالها مدى النضج السياسي لمتخذيها والوعي الشعبي لمتلقيها، كما كشفت عن توجهاتهم ومكونات أنفسهم من آمال وآلام ومظالم وغيرها من المسكوت عنه في المصادر التاريخية والأدبيات التراثية، وكانت أبلغ رد على من روج لفكرة تهميش الجماهير الشعبية وانعدام وزنها في الحياة العامة والحياة السياسية.

الهوامش

(*) بدأ ظهور **مفهوم الرأي العام** في الحضارة اليونانية، فقد كانت دولة المدينة تستمد سلطتها من رضا المحكومين، وعكست المناقشات العامة، ومحاورات أفلاطون وأرسطو وغيرهما من فلاسفة اليونان إرهاصات وبوادر ظهور الرأي العام وعمق تأثيره في المشاركة السياسية، وذلك من خلال المطالبة بالتوسع في منح الحريات العامة كحركة الفكر والتعبير والاجتماع والعبادة، وتطورت هذه المفاهيم في ظل الإمبراطورية الرومانية حيث برز ما يسمى " بصوت الشعب " أو " صوت الجماهير " الذي تبلور بعد ذلك في مصطلح الرأي العام، والذي ظهر لأول مرة في كتابات جان جاك روسو خاصة كتابه الشهير " العقد الاجتماعي " والذي بشر فيه بسيادة الشعب وأكد على مفهوم الإرادة الشعبية وذلك في القرن الثامن عشر، وتوجت هذه الجهود في القرن التاسع عشر بكتابات المؤرخ وعالم الاجتماع الشهير جوستاف لوبون الذي سلط الضوء على عمق الدور السياسي للجماهير في كتابه الشهير " سيكولوجية الجماهير ". لمزيد من التفاصيل، يمكن الرجوع إلى:

- ول ديورانت: قصة الحضارة، "حياة اليونان"، ترجمة: محمد بدران، المجلد الرابع، العددان ٧-٨، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م)، ص٢٠٦.
- ول ديورانت: قصة الحضارة، "روسو والثورة"، ترجمة: فؤاد أندراوس، المجلد الثاني والعشرون، الجزء الثاني والأربعون، (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، القاهرة ٢٠٠١م، ص٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٨، ٤٦٧، ٤٧٩، ٤٨٠.
- جوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، روح الجماعات، ترجمة: هشام صالح، دار الساقي، بيروت ١٩٩١م، ص١٢-١٣، ١٧-١٨.

(١) محمد عبدالرؤوف بهنسي: الرأي العام في الإسلام، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة ١٩٨٧م، ص٣٢-٣٣؛ عبدالكريم علي الدبيسي: الرأي العام، عوامل تكوينه وطرق قياسه، (دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١٠م)، ص١٠.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة ، روسو والثورة، المجلد ٢٢، الجزء ٤٢، ص٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٨.

(٣) **الإجماع:** لغة: هو العزم والعهد والاتفاق، قال تعالى: " فاجمعوا أمركم وشركاءكم " (يونس:٧١)، أما في الاصطلاح: فهو يعني اتفاق مجتهدي الأمة سواء فيما يتعلق

بالأحكام الشرعية التي لم يرد فيها نصٌّ صريحٌ في القرآن والسُنّة، أو فيما يتعلق بشؤون الدنيا وأمور الحياة. **أما الشورى** فهي طلب الرأي ممن هو أهله، أو هي استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور المتعلقة بها، بهدف تبني موقف مشترك إزاء ما يعترضها من قضايا أو أحداث ما لم يتم معالجته بشكل صريح أو ضمني في القرآن الكريم والسُنّة النبوية، وذلك ضمانًا لاجتماع الكلمة ووحدة الصف ومراعاة المصلحة العامة لجموع الأمة. انظر: حسن حنفي: الشورى في الإسلام، مركز الاتحاد للأخبار؛
Https: //www.eletihad.ae.6-12-2013

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٥) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٦) حسن حنفي: المقالة السابقة.

(٧) ميثم حسن حمرة: دور الرأي العام في النظام السياسي الإسلامي، مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، العدد ٨.

(٨) الدنيوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠م، ص١٦٠.

(٩) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م، ج٥، ص٧، ٧٠، ٧١.

(١٠) ميثم حسن حمزة: البحث السابق، العدد ٨.

(١١) الطبري: المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٤.

(١٢) المصدر السابق، ج٥، ص٤٤،٤٣.

(١٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٥٩-١٦٠؛ الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٣٩، ٥٧٣؛

(١٤) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، طبعة: دار المعارف، مصر، د.ت، ج٧، ص١٥٠.

(١٥) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: الشيح محمد بيومي، مكتبة الإيمان، المنصورة ١٩٩٥م، المجلد الثاني، ج٤، ص١٧٨.

(١٦) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٥٧٣.

(١٧) راجع البحث، صفحات ٤٦ ،٧٤ ومابعدهما .

(١٨) ابن خلدون: المقدمة، الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت ١٩٨٤م، ص١٥٨.
(١٩) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٩٤.
(٢٠) ابن طيفور: كتاب بغداد، صححه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، نشره: عزت العطار الحسيني، مصر ١٩٤٩م، ص١٠؛ الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص١٩٤، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦١.
(٢١) عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، مطبعة الشعب، القاهرة ١٩٨٩م، ص١٤.
(٢٢) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (مكة المكرمة ١٣٥٢هـ)، ج١، ص١١٠؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٨٠م، ج٤، ص٥٩-٦٠؛ محمد حسين هيكل، حياة محمد، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م)، ص٩١؛ أمل إبراهيم أبو ستة: تاريخ العرب قبل الإسلام، (مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة ٢٠١٧م)، ص٨٦، ٨٨.
(٢٣) محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ، (دار الفكر العربي، ١٩٥٢م)، ص٤٦.
(٢٤) الصعدة هي القناة أو العمود الذي يحمل عليه اللواء أو الراية. ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٢٧.
(٢٥) المصدر السابق، ج٣، ص١٩،٢٠.
(٢٦) المصدر السابق، ج٣، ص٢٣، ٢١٠، ٢١٥؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١١-١٢؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، (مكتبة المتنبي، القاهرة د.ت)، ج١، ص١٣١.
(٢٧) البلاذري: فتوح البلدان، وضع حواشيه: عبدالقادر محمد علي، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ص٧٣.
(٢٨) ابن هشام: المصدر السابق، ج٤، ص٢٨؛ أبو الفدا: المصدر السابق، ج١، ص١٤٤.
(٢٩) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٥٨-٢٥٩.
(٣٠) ابن هشام: المصدر السابق، ج٤، ص٢٨؛ أبو الفدا: المصدر السابق، ج١، ص١٤٤.
(٣١) الطبري: المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٠.
(٣٢) لمزيد من التفاصيل حول الحنيفية والأحناف في مكة، يمكن الرجوع إلى: ابن هشام: السيرة

النبوية، ج١، ص١٤١، ١٤٢، ١٤٦؛ طه حسين: على هامش السيرة، (هيئة الكتاب، مصر ٢٠٠٣م)، ج٢، ص١٣٤-١٣٥؛ أمل أبو ستة: المرجع السابق، ص١٦٧ ومابعدها.

(٣٣) ابن هشام: المصدر السابق، ج٣، ص١٣٣.

(٣٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٦، ١٣٦، ١٨١.

(٣٥) ابن هشام: المصدر السابق، ج٣، ص٢١٣، ج٤، ص١٧٨.

(٣٦) المصدر السابق، ج٤، ص٣١.

(٣٧) سعد عبود سمار: المقدس الشخصي عند العرب، مجلة كلية التربية، واسط، العدد العاشر، ص١٧٨.

(٣٨) في موقعة أُحد، وفي إطار حرص النبي (ﷺ) على تنظيم رجاله، وإثارة حميتهم وروح البطولة في نفوسهم، مد يده بسيف وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه ، فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة فسأله: وما حقه يا رسول الله، فقال (ﷺ) أن تضرب به العدو حتى ينحني، فقال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه، فلما أخذه أخرج عصابته، فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله، إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن. ابن هشام: المصدر السابق، ج٣، ص١٩-٢٠.

(٣٩) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص١٢، ٣٨١؛ ج٦، ص٢٠٢، ٢٠٤.

(٤٠) ابن عبدربه: العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، الطبعة الثانية، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، ص٣١٧ وما بعدها؛ محمد الطيب النجار: الموالي في العصر الأموي، (دار النيل للطباعة، مصر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، ص٩٩-١٠٠؛ أمل إبراهيم أبو ستة: تاريخ الدولة العباسية، (دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠١٠م)، ص٩٩.

(٤١) الدينوري: المصدر السابق، ص١١٧، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩؛ الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص١١٦-١١٧؛ أبو الفدا: المصدر السابق، مج١، ج١، ص١٦١.

(٤٢) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٤١٥.

(٤٣) ابن العربي: العواصم من القواصم، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، دار القلم، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٨٦ وما بعدها؛ محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة

١٩٦٠م، ص٦١ وما بعدها.

(٤٤) سهير القلماوي: أدب الخوارج في العصر الأموي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ٢٠١٠م، ص٢٢.

(٤٥) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٣٦٥ وما بعدها.

(٤٦) المصدر السابق، ج٤، ص٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٦.

(٤٧) ابن العربي: العواصم من والقواصم، ص١٣٧.

(٤٨) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٦.

(٤٩) المصدر السابق، ج٤، ص٣٦٩.

(٥٠) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٣٨٥،-٣٨٧، ٣٩١-٣٩٤، ٤١٢-٤١٣؛ ابن العربي: المصدر السابق، ص١٥١؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٦٩-١٧٠.

(٥١) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٤؛ الطبري: تاريخ الرسول والملوك، ج٤، ص٤٣٧، ٤٥٠، ٤٦١، ج٥، ص٦؛ جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص٧٣.

(٥٢) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٤٥٠-٤٥١.

أما عن تعريف الثأر فهو من ثار وهاج أي تحرك واهتز وماج قيامًا وقعودًا وصعودًا وهبوطًا، ومنها حركة الثور، وثار البركان أي أخرج ما فيه من حمم ولهيب، وهو يعني الرغبة في رد الإيذاء بمثله للمؤذي والانتقام منه، وفي الجرائم يعني قتل قاتل القتيل، دافعه الغضب وهدفه الشعور بالرضا، والثأر موروث ثقافي ارتبط بوجدان العربي منذ قبل الإسلام، مبعثه العصبية القبلية فضلاً عما تميز به العربي من فورة الغضب وسرعته، فكان رمزًا للقوة والغلبة والمهابة بين القبائل حتى أصبح مرادفًا للشرف العربي يحرص عليه حرصه على الحياة، وجاء الإسلام فشرع القصاص مع تهذيبه ووضع الحدود التي تضمن له القيام بدوره في صيانة الحياة ودرء كل ما يهددها، فقال عز وجل: " ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب " (سورة البقرة، الآية ١٧٩) فكان حدً من حدود الله ألزم بها المسلمين وأوجبه عليهم. لمزيد من التفاصيل: أمل إبراهيم أبو ستة: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص١٥٥-١٥٦.

(٥٣) في هذا السياق لا بد أن نشير إلى ما أوردته بعض المصادر التاريخية حول طموح طلحة

والزبير في السلطة والخلافة، وقد أورد الطبري إشارات كثيرة حول هذا الموضوع، ذكر منها أنه كان محل نقاش بين أنصارهما ومثار خوف من أن يكون سببًا في نشوب نزاعٍ بينهما قد يؤدي إلى مزيد من الفتن وتعميق الصراعات، وكان مما ذكره أيضًا ما حدث مع سعيد بن العاص عندما خلا بهما وسألهما عمن سيكون له الأمر إن ظفرا بالحرب، فقالا: "أينا أختاره الناس" فعرض عليهما أن يكون لولد عثمان بن عفان الذي خرجا يطلبان بدمه فاعترضا عليه وقالا: "تدع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم ". وذكر الطبري أيضًا أنهم كانوا يسلمون على الزبير بالإمرة، ويقولون: السلام عليكم يا أمير المؤمنين. الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٤٢٩، ٤٥٣-٤٥٥، ٥١٢.

(٥٤) نفس المصدر: ج٤، ص٤٣٥-٤٣٧، ٤٦١.

(٥٥) نفس المصدر، ج٤، ص٤٦١؛ ابن العربي: العواصم والقواصم، ص١٣٧.

(٥٦) الطبري: المصدر السابق، ح٤، ص٤٣٧، ٤٤٣.

(٥٧) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤١؛ الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٤٤٨-٤٤٩، ٤٥١، ٤٦١-٤٦٢.

(٥٨) المصدر السابق: ج٤، ص٤٥١-٤٥٢؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٧٢؛ جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص٧١.

(٥٩) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٤٥٠-٤٥٢؛ إسماعيل التيمي: الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ، حققه: كرم حلمي فرحات، الطبعة الثانية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠١١، ص١٨٣.

(٦٠) الدينوري: المصدر السابق، ص١٤٤، ١٥٠-١٥١؛ الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٦٤، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٣؛ أبو الفدا: المصدر السابق، المجلد الأول، ص١٧٢، ١٧٤؛ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص٧٣.

(٦١) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٦، ٤٧٧، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤٤.

(٦٢) ابن خلدون: المقدمة: ص١٢٥، ١٣٨-١٣٩، ١٤٩.

(٦٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٤٠-١٤١.

(٦٤) لمزيد من التفاصيل حول علاقة بني أمية ببلاد الشام منذ قبل الإسلام، يمكن الرجوع إلى: ابن سعد: الطبقات الكبرى، لجنة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٩٥٨م، ص٥٥-٥٦؛ المقريزي: النزاع والتخاصم بين بني أمية وبين بني هاشم. مصر ١٩٣٧م، ص١٨-٢١؛ محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية، ص٨٧؛ المؤلف نفسه، الحياة

السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ٥٤-٥٥.

(٦٥) عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، ص٢٨-٢٩؛ نفس المؤلف: معاوية ابن أبي سفيان، دار نهضة مصر، القاهرة ٢٠١٥م، ص٢١ وما بعدها.

(٦٦) نفس المؤلف: عبقرية الإمام عليِّ بن أبي طالب، ص٢٩.

(٦٧) الدينوري: المصدر السابق، ص١٥٥؛ الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٧؛ أبو الفدا: المصدر السابق، مج١، ج١، ص١٧٤.

(٦٨) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٦، ٨، ١٦٩.

(٦٩) الطبرى، المصدر السابق والصفحات.

(٧٠) نفس المصدر، ج٤، ص٤٤٤، ٥٥٩، ٥٦٢.

(٧١) نفس المصدر، ج٤، ص٥٧٣، ٥٧٤.

(٧٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ١٥٨، ١٦٢-١٦٣، ١٧٠؛ الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٥٦١-٥٧٣، ج٥، ص٦؛ ابن العربي: العواصم من القواصم، ص١٤٩.

(٧٣) الدينوري: المصدر السابق، ص١٥٩.

(٧٤) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٥٦٢، ج٥، ص٢٢٠.

(٧٥) ابن العربي: العواصم من القواصم، ص٩٦.

(٧٦) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٤٨-٤٩؛ إسماعيل التيمي: الخلفاء الأربعة، ص١٨٩.

(٧٧) الدينوري: المصدر السابق، ص١٨٨-١٨٩.

(٧٨) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٤٨-٤٩، ٦٦؛ جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص٧٧، ٧٨.

(٧٩) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٥١١.

(٨٠) نفس المصدر، والصفحات.

(٨١) نفس المصدر، ج٥، ص٤٨-٥١، ٦٥، ٦٦.

(٨٢) لمزيد من التفاصيل حول موضوع التحكيم، وفكر الخوارج وموقفهم من عليِّ بن أبي طالب ﷺ، يمكن الرجوع إلى: الدينوري: المصدر السابق، ص١٩١-١٩٧؛ الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٤٨-٥٥، ٦٦، ٧٢-٧٣؛ إسماعيل التيمي: الخلفاء الأربعة، ص١٨٩-١٩١؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مج١، ج١، ١٧٦-١٧٧؛ سهير القلماوي:

أدب الخوارج في العصر الأموي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م، ص٤٨ وما بعدها.

(٨٣) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٤٨؛ محمد جمال الدين سرور:الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ص٧٧.

(٨٤) الدينوري: المصدر السابق، ص١٦٠؛ الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٣٩.

(٨٥) الدينوري: المصدر السابق، ص١٥٩-١٦٠

(٨٦) نفس المصدر: ص١٥٥.

(٨٧) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٦٧، ١٠٩.

(٨٨) المصدر السابق، ج٥، ص٦٧، ١٠٩

(٨٩) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مج١، ج١، ص١٨٥.

(٩٠) المصدر السابق، مج١، ج١، ص١٧٤.

(٩١) إسماعيل التيمي: الخلفاء الأربعة، ص١٩٢-١٩٣.

(٩٢) عن موقعة كربلاء ومقتل الحسين بن عليّ ، وما أصاب أهل بيته، يمكن الرجوع إلى: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٤٦ وما بعدها، ج٦، ص٦٢ وما بعدها؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٩٠-١٤٠؛ محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص١٧٢؛ عبادة كحيلة: العقد الثمين في تاريخ المسلمين، (دار الكتاب الحديث، ١٩٩٦م)، ص١٧٣-١٧٤.

(٩٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٨٨، ٢٩٤.

(٩٤) الطبري: المصدر السابق، ج٦، ص١٣-١٤، ٢٣، ٢٦؛ أبو الفدا: المصدر السابق، مج١، ج١، ص١٩٤.

(٩٥) الدينوري: المصدر السابق، ص٢٩١-٢٩٢؛ الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص٥٨٤، ج٦، ص٢٣.

(٩٦) المصدر السابق: ج٦، ص٢٠-٢٣، ٥٠، ٦٠.

(٩٧) الدينوري: المصدر السابق، ص٢٩٢؛ الطبري: المصدر السابق، ج٦، ص٣٨.

(٩٨) الدينوري: المصدر السابق، ص٣٠٧؛ الطبري: المصدر السابق، مج١، ج٦، ص١٠٧.

(٩٩) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٨٢-٨٣؛ أبو الفدا: المصدر السابق، ج١، ص١٩٤-١٩٥.

(١٠٠) الطبرى، المصدر السابق والصفحات.
(١٠١) المصدر السابق، ج٦، ص٨١-٨٥.
(١٠٢) المصدر السابق، ج٦، ص٨٣-٨٥، ١١١.
(١٠٣) الدينوري: المصدر السابق، ص٢٥٩؛ الطبري: المصدر السابق، ج٦، ص٣٨٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١١م، ج١، ص٣١٤.
(١٠٤) الجاحظ: رسالة إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك، ليدن ١٩٠٣م، ص٨.
(١٠٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٥٦٢.
(١٠٦) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة الإسلامية، ص١٧٢-١٧٣؛ أمل إبراهيم أبو ستة: تاريخ الدولة العباسية، دار الثقافة العربية ، القاهرة ٢٠١٠، ص٣٥ وما بعدها.
(١٠٧) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مج١، ج١، ص٢١٣.
(١٠٨) الطبري: المصدر السابق، ج٧، ص٤٢١؛ حسن أحمد محمود، وإبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٦م، ص٧٧.
(١٠٩) محمد الطيب النجار: الموالي في العصر الأموي، ص٣٧-٣٩؛ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص١٧٣-١٧٤.
(١١٠) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي في اقتضاء الصراط المستقيم، راجع: فهرس أحاديث وآثار المسند مرتبًا على حروف المعجم، إشراف: سمير طه المجذوب، إعداد المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م، رقم الحديث: ٢٣٤٧٨، ج٥، ص٤٤١.
وللمزيد يمكن الرجوع إلى: أمل إبراهيم أبو ستة: تاريخ الدولة العباسية، ص٤١.
(١١١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٥، ج١٠، ص٥٧-٦٢.
(١١٢) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص١٠؛ الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص١٩٤.
(١١٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٦٠-٣٦١.

Hitti (Philip): History of the the Arabs. (London, 1970), P.P. 309. 320. 385.
Kremer: The Orient Under The Caliphs (London. 1943), P. 187.

(١١٤) ابـن طيفـور: المصـدر السـابق، ص١٠؛ الطبـري: المصـدر السـابق، ج٨، ص٥٥٧، ٥٦٠-٥٦١.

Muhammd Manzir Ahisan: Social Life Under The Abbasids (London 1973), P. 150 ; Muir: The Caliphate its rise, decline and Fall, (London 1915), p. 183.

(١١٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٩٤.

(١١٦) الدينوري: المصدر السابق، ص٣٦١.

(١١٧) المصدر السابق والصفحة؛ الطبري: المصدر السابق، ج٦، ص٥٦٢.

(١١٨) نفس المصدر، ج٧، ص٣٥٦؛ أمل أبو ستة: المرجع السابق، ص٤٥.

(١١٩) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٦٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٩.

(١٢٠) الجـاحظ: رسـالة المعـاش والمعـاد، تحقيـق: عبدالسـلام محمـد هـارون، مكتبـة الخـانجي، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٢٨٣-٢٨٥.

(١٢١) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص٥٤.

(١٢٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص١٤، ٣٧ وما بعدها.

(١٢٣) المرجع السابق، والصفحات.

(١٢٤) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص٢٦.

(١٢٥) المصدر السابق، ص٤١-٤٢.

(١٢٦) المصدر السابق، ص٤٣-٤٤.

(١٢٧) المصدر السابق، ص٤٥-٤٦.

(١٢٨) لمزيد من التفاصيل حول هذه المنظمات، يمكن الرجوع إلى:

أمـل إبـراهيم أبوسـتة: جماعـات الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر ودور الحنابلـة فـي المجتمع البغدادي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، مجلة كلية الآداب (الإنسانيات والعلوم الاجتماعية)، جامعة القاهرة، المجلد ٧٤، العدد (١) يناير ٢٠١٤م، ص١٨-٢٠، ٣٤-٣٩.

(١٢٩) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، نشر وتحقيق: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة النهضة، مصر ١٩٢٨م، ص١٣٨.

(١٣٠) ابن أبي يعلي: طبقات الحنابلة، (دار المعرفة، بيروت د.ت)، ج٢، ص٤٣-٤٤، ١٤٦؛ ابـن الأثيـر: الكامـل فـي التـاريخ، دار الفكـر العربـي، بيـروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٦، ص٢٤٨؛

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت د.ت، ج٢، ص٢٦٧.

(١٣١) الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص٥٥١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج٥، ص١٨٣.

(١٣٢) الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص٥٥٢؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج٥، ص١٨٣.

(١٣٣) الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص٥٥٢-٥٥٤، ٥٦٢-٥٦٤؛
ابن الأثير: المصدر السابق، ج٥، ص١٨٣، ١٩١-١٩٥؛
أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢-٢٣.

(١٣٤) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحات.

(١٣٥) ابن أبي يعلي: طبقات الحنابلة، ج١، ص١٣٣-١٣٥.

(١٣٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتي سنة ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ج٥، ص١٧٣-١٨٠.

(١٣٧) لمزيد من التفاصيل، راجع: أمل إبراهيم أبو ستة: جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودور الحنابلة في المجتمع البغدادي، ص٣٤، ٤٥، ٤٨ وما بعدها.

(١٣٨) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص١٥٢-١٥٣؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مج١، ج١، ص٢١٠، ٢١٣؛ عبادة كحيلة: العقد الثمين في تاريخ المسلمين، ص١٨٢؛ أمل إبراهيم أبو ستة: تاريخ الدولة العباسية، ص٦٩ ومابعدها

(١٣٩) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٥٤.

(١٤٠) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(١٤١) نفس المصدر، ج١٠، ص٥٤-٦٣.

(١٤٢) ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٧م-١٩٨١م، ج١٢، ص١٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٥م، ج٣، ص٤٠.

(١٤٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبدالهادي أبوريدة: الهيئة المصرية العامة الكتاب، القاهرة ٢٠١٣م، ج١، ص٩٨-١٠٦، ١٠٩.

(١٤٤) لمزيد من التفاصيل حول تنظيم القرامطة؛ نشأتهم، و فكرهم، وعقيدتهم وعوامل قوتهم

وحروبهم مع العباسيين، يمكن الرجوع الي : امل ابراهيم ابوستة : الإرهاب فكرا و تنظيما ومواجهة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ، التاسع والعاشر الميلاديين (تنظيم القرامطة نموذجا) حوليات المؤرخ المصري ، يصدرها قسم التاريخ ،كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، يونية ٢٠١٧م، ص١١، ١٤

(١٤٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٩٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج٣، ص١٠٥.

(١٤٦) عن إرهاب القرامطة، راجع:

البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، الطبعة الرابعة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٢٨٤؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائر المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن الهند، ١٣٥٧هـ، ج٦، ص٣٨ وما بعدها؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م ج٦، ص٤١٧، ٤٢٨-٤٣٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م، ج٢، ص١٤٧-١٤٨ وما بعدهما؛ ابن كثير: البداية والنهاية، الطبعة السادسة، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٨٥م، ج١١، ص٨٣، ٩٥-٩٦، ١٠٠، ١٤٩-١٦١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ص٢٢٢-٢٢٤، ٢٣١-٢٣٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٠٥-١٠٦، ١٨٢، ٢١٨.

(١٤٧) للوقوف على أحوال الخلافة والظروف العامة والفوارق الطبقية التي أفرزت هذا التنظيم، يمكن الرجوع إلى: التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالحي، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م، ج١، ص٣١-٣٥؛ الصابئ: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨م، ص١٢٥-١٢٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٢٩، ١٦٩، ١٨٤، ٢١٢؛ أمل إبراهيم أبو ستة: الإرهاب فكرًا وتنظيمًا ومواجهة، ص١٥-٢٣.

(١٤٨) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٧، ص٤١-٤٢؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج١١، ص١٥٨؛ أمل إبراهيم أبو ستة: البحث السابق، ص٦٨

(١٤٩) المقريزي: المصدر السابق، ج١، ص٢١٨-٢١٩، ٢٢٢-٢٢٣.

(١٥٠) نفس المصدر، ج١، ص٢٢٠.

(١٥١) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(١٥٢) الطبري: المصدر السابق، ج١٠، ص٩٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣.

(١٥٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٢٧.

(١٥٤) عبدالجبار الهمذاني: تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد، نشره: سهيل زكار في كتابه المعنون " أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن "، دار حسان، دمشق ١٩٨٢م، ص١٥٢.

(١٥٥) المقريزي: المصدر السابق، ج١، ص٢٣٠.

(١٥٦) عبدالجبار الهمذاني: المصدر السابق، ص١٥٦؛ المقريزي: المصدر السابق، ص٢٣٥.

(١٥٧) الطبري: المصدر السابق، ج١٠، ص١٠١.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم.

ابن الأثير: (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م) علي بن أحمد بن أبي الكرم:

- الكامل في التاريخ، صححه وراجعه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الأزرقي: (ت ٢٣٣هـ/٧٤٨م) أبو الوليد محمد بن عبدالله:

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكة المكرمة ١٣٥٢هـ.

إسماعيل التيمي: (ت٥٣٥هـ/١١٤١م) الشيخ الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد:

- الخلفاء الأربعة (أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ)، حققه ووضع حواشيه، حلمي فرحات، الطبعة الثانية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠١١م.

البغدادي: (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) عبدالقادر بن طاهر الشافعي:

- الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم، الطبعة الرابعة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

البلاذري: (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) أحمد بن يحيى بن جابر:

- فتوح البلدان، صححه ووضع حواشيه: عبدالقادر محمد علي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

ابن تغري بردي: (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م) جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي:

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الثالث، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للكتاب والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

التنوخي: (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) أبو علي المحسن بن علي القاضي:

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالحي، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م.

الجاحظ: (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) أبو عثمان عمر بن بحر:

- رسائل الجاحظ:
  - رسالة إلى الفتح ابن خاقان في مناقب الترك وعامة جند الخلافة، بريل، ليدن ١٩٠٣م.
  - رسالة المعاش والمهاد، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

ابن الجوزي: (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي:

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٥٧هـ.
- تلبيس إبليس، نشر وتحقيق: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة النهضة، مصر ١٩٢٨م.

أبو حنيفة الدينوري: (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) أحمد بن داود:

- الأخبار الطوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠م.

الخطيب البغدادي: (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) أبو بكر أحمد بن علي:

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى عام ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ونسخة أخرى تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ابن خلدون: (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) عبدالرحمن بن محمد:

- المقدمة، الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت ١٩٨٤م.

ابن خلكان: (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد الشافعي:

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

ابن سعد: (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) محمد الزهري:

- الطبقات الكبرى، لجنة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٩٥٨م.

الصابئ: (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) أبو الحسن هلال بن المحسن:

- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨م.

الطبري: (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٧٩م.

ابن طيفور: (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) أبو الفضل أحمد بن طاهر:

- كتاب بغداد، صححه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، نشره، عزت العطار الحسيني، مصر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

ابن عبد ربه: (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) أحمد بن محمد الأندلسي:

- العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، الطبعة الثانية، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

عبد الجبار الهمذاني: (من علماء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) القاضي:

- تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ، نشره سهيل زكار في كتاب بعنوان (أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن)، دار حسان، دمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ابن العربي: (ت ٤٦٨هـ-٥٤٣هـ) الإمام القاضي أبو بكر بن العربي المالكي:

- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، حققه وعلق حواشيه: الشيخ محب الدين الخطيب، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمود مهدي الإستانبولي، محمد جميل غازي، دار القلم، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ابن العماد الحنبلي: (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) أبو الفلاح عبدالحي:

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٥م.

أبو الفدا: (ت ٧٣٢هـ:١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل:

- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

ابن كثير: (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) الحافظ الدمشقي:

- البداية والنهاية، الطبعة السادسة، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٨٥م.

المقريزي: (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) تقي الدين أحمد بن علي:

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- النزاع والتخاصم بين بني أمية، وبين بني هاشم، مصر ١٩٣٧م.

ابن منظور: (ت ٧١١هـ/١٣١١م) جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري:

- لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون (طبعة دار المعارف، مصر، د.ت).

ابن هشام: (ت ٢١٣هـ/٨٢٦م) أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري:

- السيرة النبوية، تحقيق: محمد بيومي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ثانيًا: المراجع:

أحمد أمين: ضحى الإسلام، نشأة العلوم في العصر العباسي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨م.

آدم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٣م.

أمل إبراهيم أبو ستة:

- تاريخ الدولة العباسية، دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠١٠م.
- تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة ٢٠١٧م.

جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٨٠م.

جوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير: روح الجماعات، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ١٩٩١م.

حسن أحمد محمود، أحمد الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٦م.

سمير طه المجذوب: فهرس أحاديث وآثار المسند مرتبًا على حروف المعجم، إعداد المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

سهير القلماوي: أدب الخوارج في العصر الأموي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠م.

سهيل زكار: أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن، دار حسان، دمشق ١٩٨٢م.

شاكر مصطفى: دولة بني العباس، ٢ج، القاهرة ١٩٧٢م.

طه حسن: على هامش السيرة، هيئة الكتاب، مصر ٢٠٠٣م.

عبادة كحيلة: العقد الثمين في تاريخ المسلمين، دار الكتاب الحديث، القاهرة ١٩٩٦م.

عباس محمود العقاد:

- عبقرية الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٩م.
- معاوية بن أبي سفيان، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة ٢٠١٥م.

عبدالكريم علي الدبيسي: الرأي العام: عوامل تكوينه وطرق قياسه، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن ٢٠١٠م.

محمد الطيب النجار: الموالي في العصر الأموي، دار النيل للطباعة، مصر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

محمد جمال الدين سرور:

- قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ، دار الفكر العربي، مصر ١٩٥٢م.
- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٠م.

محمد حسين هيكل: حياة محمد، الهيئة المصرية، القاهرة ١٩٩٧م.

محمد عبدالرؤوف بهنسي: الرأي العام في الإسلام، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة ١٩٨٧م.

محمد عبد الله عنان الصبحي: فتنة ومقتل عثمان بن عفان ﷺ، الطبعة الثانية، جزءان، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الرابع، ترجمة: محمد بدران، والمجلد الثاني والعشرون، ترجمة: فؤاد أندرواس، منشورات مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ٢٠٠١م.

ثالثًا: الأبحاث والمقالات:

أمل إبراهيم أبو ستة:

- جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودور الحنابلة في المجتمع البغدادي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ١ يناير ٢٠١٤م.
- الإرهاب فكرًا وتنظيمًا ومواجهة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، تنظيم القرامطة نموذجًا، نشر في حوليات المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، يونيه ٢٠١٧م.

حسن حنفي: الشورى في الإسلام، مركز الاتحاد للأخبار، ٦ ديسمبر ٢٠١٣م.
Https: //www.eletihad.ae.6-12-2013.

سعد عبود سمار: المقدس الشخصي عند العرب قبل الإسلام، مجلية كلية التربية، واسط، العدد العاشر.

ميثم حسين حمزة: دور الرأي العام في النظام السياسي الإسلامي، مجلة جامعة أهل البيت، العدد الثامن.

Hitti (Philip): History of the the Arabs. (London, 1970).

Kremer: The Orient Unddr The Caliphs (London. 1943).

Muhammd Manzir Ahisan: Social Life Under The Abbasids (London 1973).

Muir: The Caliphate its rise, decline and fall (London 1915).